عاهات وآهات

عـاهـات وآهـات

روايـــــة

رانـــدا جـــاد

عـاهـات وآهــات

روايــة

اسم الكاتبة: رانـدا جـاد
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية للنشر والتوزيع
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى
رقم الإيداع: ١٤٥٧٩ / ٢٠١٨
طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

Facebook.com/arabiclibrary2017

عايزة أبقى (موزّة)!

بدأ الجميع في الظهور في الوقت المحدد لإقامة الحفل في أحد الفنادق الكبيرة، وهنَّأَ الجميع (شريف) الذي أقيم الحفل على شرف ترقيته في منصبٍ كبير في الشركة الانترناشيونال الذي التحق بالعمل بها مؤخراً، وقد أظهر(شريف) كفاءةً كبيرة في أداء عمله مما جعل رئيسه في الشركة يرشحه لهذا المنصب الكبير.

وقفت (حنان) بجانب زوجها (شريف) ترحب بالمدعوّين من زملاء زوجها وكانت سعيدة جداً، وهو فخور بوجودها بجانبه هذا اليوم الذي انتظره طويلاً، إلى أن ظهرت من بعيد (لبنى) وهي تقترب موجهه بصرها تجاه (شريف).

كانت (لبنى) امرأة جميلة، طويلةً ممشوقة القوام، بيضاء البَشَرَة دقيقة الملامح، شقراء وكان يبدو عليها الثراء، ترتدي ثوبًا طويلًا أسود اللون غاية في الأناقة، عاري الذراعين، يكشف عن نهدين كادا يصرخان من التصاقها الشديد بـ(شريف) أثناء تقبيل (لبنى) له، عاري الظهر تماماً لدرجة أنه يكشف جزءًا من مؤخرتها التى لم تلاحظها (حنان) التي تغيرت كل ملامحها إلى الوجوم بعد قبلة (شريف) التي أثارت الغيرة الشديدة بقلبها.

وقفت (لبنى) ملتصقة بـ(شريف) تهنئه بالمنصب الجديد ودار بينهما حديثٌ قصير، حول العمل واستأذنته لتلحق بباقي الزملاء عندما لم تجد منه إلا كلمات متقطعة، وهزت رأسها تحيي (حنان) التي بادلتها التحية بابتسامة صفراء، ولما ولَّت (لبنى) ظهرها لهم رأت (حنان) الثوب من الخلف ففزعت وأمسكت بذراع (شريف) الذي تعجب منها وقال:

- ما لك يا (حنان)؟!... ماسكاني كده ليه؟!

أجابت (حنان) وهي ما زالت ممسكةً بذراعه بيد وتشير بيدها الأخرى إلى (لبنى):

- شوف السافلة مبينة البوبو بتاعها إزاي... هو فيه إيه؟ حصل في الدنيا إيه؟!

شدها (شريف) من ذراعها بشده لدرجة أنها تألمت وذهب بها بعيداً عن الناس وقال بغضب في صوت منخفض:

- إنت اتجننتي؟... إيه إللى بتقوليه ده؟ فاكرة نفسك في البيت.. افرضي حد سمعك... حتفضحينا منك لله.

ظهر الغضب على وجه (حنان) وهي تقول معاتبة:

- أنا برضه اللي مني لله؟!.. طيب وهي؟ منها للجنة على طول؟!

أجاب (شريف) وقال متعجباً:

- و أنا ما لي وما لها و إنت ما لك وما لها؟! خلينا في حالنا وعدي اليوم على خير من غير فضايح.

اغتاظت (حنان) بشدة وارتفع صوتها وهي تقول:

- وكمان ليك عين تتكلم بعد ما شوفتك بتبوسها أدامي؟!

نظر إليها (شريف) متعجباً وقال:

- أبوسها؟!.. لا ده إنت كده مجنونة رسمي، إشمعنى دي؟!.. ما أنا بوستهم كلهم دي طريقة السلام بينا.

ذادت الغيرة بداخل (حنان) وقالت باستهزاء:

- طريقة السلام بينكم؟!..عادي يعني؟!. طيب ما أنا محدش سلم علي وباسني... أنا بقى عاوزة أتباس.

ضغط (شريف)على ذراعها ضغطة خفيفة ولكنها ألمتها، فغضبت (حنان) بشدة واغرورقت عيناها بالدموع وأشفق عليها (شريف) وضغط على كتفها برفق ومسح دموعها قائلاً:

- إيه اللي قولتيه ده يا (حنان)؟!.. إنت مش عارفة إني بغير عليكى جداً وما أقبلش أسمع أي تلميح إن حد يقرّب منك.

هدأت (حنان) عندما أحست بحبه وحنانه واعتذرت له عما بدر منها.. وطلبت منه أن يرجعا إلى ضيوفهما حتى لا يلاحظ أحد غيابهما.

و انتهى الحفل بعد عدة فقرات من الرقص والأغاني والكل سعيد إلا (حنان) التي شعرت بأحاسيس كثيرة مختلفة ومتضاربة مع بعضها، فعلى الرغم من إحساسها بحب زوجها لها إلا أنها تشعر أنه يفتقد شيئا ما، وعلى الرغم من أنها تؤدي دورها على أتم وجه إلا أنها تشعر بتقصيرها في إسعاد زوجها، هي شعرت أنها ليست جميلة وأنها لا تستطيع إسعاد زوجها الوسيم.

****

نعم... (حنان) ليست جميلة، فهي امرأة في الخامسة والثلاثين من عمرها، ممتلئة القوام تميل إلى القصر أقرب منه إلى الطول، قمحية اللون ملامحها دقيقة، محجّبة حجابا يغطي الرأس والرقبة يظهر شعر بنيٌ غامق غير معتنى به، حسنة المظهر، فهي تحاول أن تلبس الجديد في الموضة ولكن حجابها يمنعها من ارتداء الكثير من الأزياء.

أما بالنسبه (لشريف)، فهو رجل وسيمٌ، أسمر اللون ذو عينين واسعتين يشع منهما الذكاء، شعره أسود ناعم، جسمه رياضي يحافظ على رشاقته، وأحياناً كثيرة تذكر (حنان) أنه يشبه ممثلي السينيما.

انتهى الحفل و اتجه (شريف) و(حنان) إلى السيارة ليعودا إلى بيتهما حيث تركا والدة (شريف) مع الأولاد لرعايتهم.

ظل (شريف) صامتاً أثناء القيادة فقد كان لا يريد التحدث في الأمر مرة ثانية، و أيضاً (حنان) كانت صامتة تماماً، فقد كانت تفكر وتسترجع السنين الماضية، وكيف مرّ على زواجها خمسة عشر عاماً؟!.. كيف كانت نحيفةً ومرحة... وكيف أصبحت بعد هذه السنين؟!

وصلا (شريف) و(حنان) إلى بيتهما و طرقا الباب لتفتح لهما والدة (شريف) وهي مبتسمة وسعيدة حيث إنها كانت تجاهد عينيها وتمنعهما من أن تغفلا انتظاراً لقدوم ابنها وزوجته من الحفلة ليقصا عليها أحداث الحفلة كما تعودت منهما عندما يعودان من أي حفلة، تفاجأت الأم بوجومهما وطريقة دخولهما حتى بدون إلقاء السلام عليها.. نظرت الأم إلى (حنان) متسائلة:

- فيه إيه يا (حنان)... ما لكم يا بنتي مكشرين كده ليه؟

أجابت (حنان) والشرر يتطاير من عينيها:

- اسألي ابنك يا طنط... اساليه عمل إيه؟!

تكلم (شريف) بعصبية شديدة:

- أنا برضه...أنا برضه اللي عملت... ده إنت اللي ست نكدية... ملكيش في الحفلات.

التفتت إليه (حنان) وصرخت قائلة:

- نكدية!.. نكدية!.. أه طبعا نكدية علشان ما بحبش قلة الأدب والسفالة.

و أكملت موجهة حديثها إلى الأم:

- تخيلي يا طنط!.. تخيلي السافلة زميلته كانت لابسة عريان خالص والبيه مش يبعد عنها... لا ده كمان بيبوسها وصدرها كله لازق فيه.

وقاطعها (شريف) موجهاً حديثه إلى الأم:

- يا أمي ما بوستهاش... هي اللي باستني... ده طريقة سلامهم كلهم في الشركة دي... يعني أقولهم لا... أنا ما بتباسش.

قاطعته (حنان) وهي تقول باستهزاء:

-لا طبعاً... ما يصحش تحرجهم... لكن أنا أضايق مفيش مشكلة... ما هو أنا بنت الخدامة بتاعتك اللي...

قاطعتها الأم قائلة وهي تمسك بيدها متجه إلى الكرسيين المجاورين لهما:

- تعالي يا بنتي احكيلى إيه حكاية الست دي بالضبط... أنا مش فاهمة حاجة.

نظرت الأم إلى (شريف) نظرة فهمَ منها أنها تريد أن تنقذه من (حنان) ستلهيها عنه إلى أن ينام، ذهب (شريف) بسرعة إلى حجرته ليبدل ملابسه وينام وهو يقول في نفسه:

- الله يعينك يا أمي.

****

ذهب (شريف) إلى سريره لينام ولكنه لم يستطع النوم، أحياناً كان يستمع إلى الحوار الذي يدور بين أمه وزوجته حيث كانت تصل إليه بعض الكلمات التي تذكرها (حنان) بانفعال مما يجعل صوتها يرتفع ليصلَ إليه، وأحياناً كان يتذكر (لبنى) وكيف كانت تبدو جميلة فهو لم يلتفت إلى جمالِها من قبل على الرغم من المحاولات التي كانت تقوم بها للفت نظره.

قصت (حنان) على الأم أحداث الحفل بالتفصيل كما تعودتْ دائماً بعد عودتها من أي حفل، ووصفت لها النساء اللاتي حضرن الحفل من حيث ملابسهن وطريقتهن في التعامل والأحاديث التي دارت بينهن وخصّت بالذكر السيدة التي أثارت غيرتها بشدة، وصفت لها ملابسها التي تظهر كل أجزاء جسدها وكيف كانت تقبل (شريف) وكيف أنها تعمدت إثارة غيرتها، وكانت الأم تستمع إليها باهتمام كما تعودت دائماً مستمتعة بالأحاديث وكانت أيضاً تريد أن تلهي (حنان) عن الشجار مع زوجها.

تثاءبت الأم واستشعرت (حنان) الحرج من حديثها الطويل الذي أرهق الأم التي بدورها استأذنت (حنان) لتدخل إلى غرفتها للنوم، بمجرد أن سمع (شريف) خطوات (حنان) وهي متجهة للغرفة أغلق عينيه ليدخل في نومٍ عميق.

استلقت (حنان) على السرير بجانب (شريف) وهي تنظر إليه وتفكر فيما ممكن أن يكون يدور خلفها وهي لا تعلمه، هل من الممكن أن يخونها (شريف) مع هذة المرأة؟! وإذا كان لا يخونها... فهل ستتركه المرأة أو أنها ستسلط عليه جمالها ودلالها لتاخذه من بيته وزوجته؟

استرجعت (حنان) صورة (لبنى) في مخيّلتها وشعرت بغيرة شديدة بداخلها، تكاد تحرقها وتحرق البيت كله، وتساءلت: لماذا تبدو (لبنى) مختلفة عنها؟! لماذا هي أجمل منها؟!.. وفجأة قررت (حنان) قرارًا لا رجعة فيه، إنها الآن تتخيل نتيجة قرارها... إنها تتخيل التغيير الذي سيطرأ عليها بعد قرارها... إنها سعيدة الآن ويجب أن توقظ (شريف) ليعرف قرارها... و أيقظت (شريف) بدفعه بشدة وهي تقول:

- (شريف)... اصحى... عاوزة أقولك حاجة مهمة...

استيقظ (شريف) وهو مذعور قائلاً:

- فيه إيه... فيه إيه يا (حنان)؟! الولاد جرى لهم حاجة؟

أجابت (حنان) وهي متحفزة:

- بص يا (شريف)... أنا قررت أبقى (موزّة).

نظر إليها (شريف) وفي عينية غضب شديد وقال:

- أفندم؟! بتقولي إيه سيادتك؟!

وبدأ صوته يعلو وهو يقول:

- إنت مصحيانى يا هانم من عزّنومي علشان تقوليلي الهبل ده؟!

احمر وجه (حنان) من الغيظ وصرخت فيه بشدة:

- هبل إني أبقى حلوة... لكن مش هبل إنها تبقى عريانة... مش هبل إنها تبوسك... مش هبل إنها تترقص وهي ماشية...طيب إيه رأيك بقى يا (شريف) إني حهتم بنفسي وحكون أحلى منها وحقلع الحجاب وألبس زيها... وحبيّن البوبو وحبوس اللي أسلم عليه.

قفز تجاهها (شريف) كالثور الهائج وكاد أن يصفعها على وجهها فهو لا يتحمل فكرة أن يقبلها أحد ولا أي مزاح من هذا القبيل فهو يغار عليها بشدة، وتمالك نفسه وصاح فيها بشدة وقال بصوت آمر:

- (حنان)... نامي أحسن لك وعدي الليلة على خير، بكرة حسيب لك فلوس... روحي الكوافير وظبطي أمورك واشتري لك كم طقم وهاتي اللي نفسك فيه.

صمتت (حنان) فهي تعرف متى تلتزم الصمت أثناء المشاجرة بينها وبين زوجها، لم تجب (شريف) ولم تنطق بكلمةٍ عندما كان ينظر إليها شزراً، وعندما لم يجد منها أي ردٍ أدار لها ظهره ودخل في نوم عميق، أما هي فقد قررت بداخلها أن تبدأ خطتها غداً.

استيقظت الأم على صوت شجارِهما، أشفقت على ابنها جداً الذي لم يكمل يومه سعيداً بسبب زوجته، ولكنها أشفقت أيضاً على (حنان) فهل تعلم أن (حنان) تحبه بجنون.

فقد تزوج (شريف) بحنان بعد قصة حب دامت سنين. تشاء الأقدار أن يتوفيا والداها في حادث سيارة بعد زواجها، مما أثر كثيراً على حالتها النفسية واستمرّ علاجها النفسي فترة كبيرة ولم يرد الله أن يرزقها بالأطفال مما زاد من سوء حالتها. لكن (شريف) وقف بجانبها وأحسن معاملتها وتعلقت به جداً وأحبته بجنون. و أفرغت (حنان) مشاعر الأمومة عندها إلى (شريف) فدللته كثيراً واعتبرته إبن لها أكثر من كونه زوج. وتحملت الكثير بسبب عمله الغير مستقر. حتى عندما رزقها الله بالأطفال بعد زواج دام ستّ سنوات لم تقصر في حق زوجها واستمرت في تدليله كما تدلّل أبناءها.

لهذا أحبتها والدة (شريف) فهي نعم الزوجة لابنها التي لا تملك سواه في الدنيا. فقد توفي والده وهو في سن الإعدادية ولم يرزقها الله بأولاد آخرين.

شعرت (حنان) بحب حماتها لها، فاقتربت منها واستعوضتْ بها عن والدتها وكانت دائمة الحديث معها والأخذ بنصائحها وكانت الأم نعم الصديقة.

على الرغم من العلاقة الطيبة التي نشأت بين الأم و(حنان)، إلا إن الأم لم تكن لتستطيع السيطرة على غضب (حنان) إذا أحست بالغيرة على زوجها، فإنها تغار عليه بشدة وخاصة من زميلاته في العمل. إنها تذكر كم الشجارات التي تشاجرتْها (حنان) مع زوجها خاصةً في هذا الشركة الجديدة بسبب فتاة ظنت (حنان) أنها تحب (شريف) وكانت تطالبه أن يترك العمل بالشركة على الرغم من ارتفاع راتبها بالنسبة لراتبه السابق.

لهذا قررت الأم أن ترحلَ فور استيقاظها من النوم.. فهي في غنى عن أي تدخل في شجارات بين ابنها وزوجته.

****

استيقظ (شريف) مبكراً قبل ميعاده بساعة تقريباً، فقد حلم بكوابيس كثيرة مما أصابه بالأرق، فقد حلم بزوجته وهي قد أجريت لها عمليات تجميل، وتقترب منه تقبله فإذا بفمها يفتح فجأة ويصبح كبيراً ويبتلعه... حلم أيضاً بها عارية والرجال يسيرون خلفها وفي أيديهم ملاعق يغترفون من لحمها ويأكلونه... حلم أيضا (لبنى) تقترب منه ويخرج من نهديها ثعبانٌ كبير يلتف حوله ويلتهمه.

****

قرَّر (شريف) أن يذهب مبكراً إلى العمل قبل أن تستيقظ (حنان) ليتجنب الشجار معها، تسلل (شريف) خارج الغرفة متجهاً إلى الحمام فإذ به يصطدم بأمه، فتفاجأ بها (شريف) وقال مرُحِباً:

- صباح الخير يا ماما...إيه اللي صحاكي بدري كده؟!

حيته الأم قائلة:

- صباح النور يا حبيبي... أنا حروح بيتي.

قال (شريف) متعجباً:

- بدري كده؟! طيب استني لما (حنان) تصحى و...

قاطعتة الأم قائلة:

- لا والنبي يا ابني خليني أروح قبل ما تصحى... الله يهديكم.

بدا على (شريف) تفهم الأمر وعرض عليها توصيلها ولكنه اقترب منها وقال بهمس:

- حاضر يا أمي... بس بالراحة جداً من غير ماتعملي أي صوت يصحيها.

تسللت الأم و ابنها ومشيا على أطراف أصابعهما حتى لا تشعر بهما (حنان) واستعدا لتبديل ثيابهما والخروج إلى الشارع هرباً من (حنان).

****

استيقظت (حنان) ولم تجد (شريف) بجانبها على الرغم من وعده لها بأنه سوف يحصل على إجازة اليوم من العمل ليمكث معها ومع أولاده، ذهبتْ إلى غرفة الأولاد حيث تنام الأم وطرقت الباب ودخلت فلم تجد الأم.

لم تعلق (حنان) على غيابها بالعكس فقد ارتاحت لغيابهما؛ لتستطيع بدء تنفيذ الخطة خصوصاً أن أطفالها ما يزالون نائمين.. توضأت وصلت صلاة الصبح ودعت الله أن يوفقها في أن تجعل نفسها (موزّة).

اتجهت (حنان) إلى غرفتها وأغلقت الباب بالمفتاح وهي لا تعلم من أين تبدأ فخلعت جميع ملابسها أمام المرآة ووقفت عارية تماماً، أول ما سقطت عيناها عليه هو نهداها، قطّبت (حنان) حاجبيها لما رأت.. فقد رأت نهدين

متهدّلين يكادا يتدليان إلى سرتها، وفجأة قفزت إليها صورة نهدي (لبنى) الذين يكادا أن يصرخا من مقاومتهما للجاذبية الأرضية.

أصاب (حنان) الاكتئاب الشديد وحزنت ومسكت نهديْها تحاول رفعهما وتقريبهما من بعض وكانت تبتسم لكونهما مرتفعين ولكنها كانت تعبس بمجرد أن تتركهما فيسقطا متدلّيين.

قررتْ (حنان) أن تغيروجهتها، فإنها تخاف بشدة من عمليات النفخ حيث إنها تعتقد أنها مسببة للأمراض السرطانية.

نزلت بعينيها أسفل قليلاً عند بطنها، هذه البطن التي تم فتحها ثلاث مرات للولادة القيصرية، لقد أصابها ما أصاب نهديها وقد تهدلت كثيرا و انتفخت، وغابَ خصرها بين تلال الدهون، وتذكرت بطن (لبنى) المشدودة وازدادت غيرتها وفقدانها الثقة في نفسها. شفطت (حنان) بطنها بشدة وارتفع نهداها وظلت هكذا دقائقَ وأعجبت بنفسها جداً واستعادت بهجتها مرة ثانية.

أدارت (حنان) ظهرها للمرآة لتكتشف ما جد على مؤخرتها... ويقطع صمتها صوتُ نقرعلى الباب وصوت طفلة صغيرة تقول: "مامي... عاوزة بيي".

تزفر(حنان) في ضيق: " حاضر... ثانية واحدة".

تفتح (حنان) باب الغرفة لتجد أمامها هذا الكائن الصغيرالمتسبب في ما آلت إليه، تنظر إليها بضيق شديد فتبتسم الطفلة لها ببراءة شديدة وبحب مما جعلها تسترجع أمومتها وتحتضنها وتساعدها في إدخالها الحمام.

طلبت (حنان) من أولادها الذين كانوا قد استيقظوا أن يلعبوا مع بعضهم إلى أن تتمّ مهمتها

****

وصل (شريف) إلى عمله مبكراً بعد أن أوصل أمه، كان يحس بصداع شديد من أثر حفل البارحة والشجار الذي تسببتْ فيه زوجته، طلب قهوتَه الصباحية و اتجه إلى مكتبه الجديد ليباشر عمله.

أثناء انشغاله بالعمل سمع صوتًا رقيقا بالقرب منه يحييه:

- صباح الخير يا (شريف).

رفع (شريف) رأسه وإذ بها (لبنى) تنظر إليه بابتسامتها الساحرة، شعر (شريف) أنها تريد أن تدير معه حديثًا حول حفلة البارحة، كان (شريف) دائما يتجنبها ويتجنب الحوار معها، فقد حاولت كثيراً أن تتقرب منه، ولكن لم يعجبه تمايلها وضحكتها العالية التي تحاول أن تثير بها الرجال، فأنزل (شريف) رأسه ونظر إلى جهاز الكمبيوتر المقابل له وهو يرد إليها التحية قائلاً بكل جدية:

- صباح النور يا (ليلو).

انتبه (شريف) أنه ناداها بالاسم الذي يطلقه عليها أصحابها، وهو كان دائماً حريصًا على عدم مناداتها به، فكتم أنفاسه وما زال ينظر لجهاز الكومبيوتر الذي أمامه متمنياً أنها قد لا تكون سمعته، ولكن (ليلو) كانت تعلم أنها سوف تلفت نظره بملابسها المثيرة التي ارتدتها في اليوم السابق وإذا لم يلتفت ستجبره زوجته أن ينظر إليها، فقد تعمدت (ليلو) أن تثير غيرة زوجته بمجرد أن دخلت من الباب ورأتها بجانبه.

لم يلتفت (شريف) إلى (ليلو) التي ابتسمت بعين تملؤها إحساس الزَهْوُ والانتصار، فها هو (شريف) قد بدأ يتغير ويلتفت إليها أخيراً... وأدارت ظهرها وصارت خارج الغرفة وهي تتمايل في مشيتها وتعلم أن (شريف) ينظر إليها، بالفعل كان (شريف) ينظر إليها، وقفت (ليلو) عند الدولاب المقابل لمكتب (شريف) و انحنت لأسفل لتحضر بعض الأوراق.

نظر لها (شريف) وقد وجد أمامه مؤخرتها، ابتسم (شريف) في مخيلته فقد تذكر تلك الأحاسيس عندما كان صغيراً وهو يشاهد إعلانات الجيلي وهو يهتز... كم كان يحس بسعادة بالغة ويتمنى أن ينقضَّ على شاشة التلفاز ليتناول هذا الجيلي... قطّب (شريف) حاجبيه عندما أتت مؤخرة (حنان) في مخيّلته تقف بجانب مؤخرة (ليلو)، لقد تذكر ذاك الإحساس السيئ الذي كان يحس به عندما تنفجر البالون التي كان يلعب بها، ويبتسم (شريف) بكل حب عندما يرى في مخيلته أولاده الثلاث وقد أزاحوا مؤخرة (ليلو) بعيداً وأخذوا مؤخرة أمهما بعيداً عنها...

إنه يحب أولاده ويعشقهم ولا يستطيع العيش بدونهم، وهو أيضاً يحب (حنان) ويغار عليها ولا ينظر إلى مساوئها أبداً.

خرج (شريف) من خياله وكره (ليلو) التي تحاول دائماً أن تلفت الأنظار إليها، لعلها تظفر بأحدهم يوماً ما، ولكن لن يكون هو.

****

عندما دخلت (حنان) غرفتها للمرة الثانية، لاحظت وجود مبلغٍ كبيرٍ من المال على الكومود. ابتسمت (حنان) فهي تعلم أن زوجها ترك لها هذا المبلغ حتى لا تكون حزينةً فهو كريم جدا. منذ أن تزوجت وهو كريم معها حتى أثناء عملها لم يقصر معها وكان يصر على إعطائها مصروفها شهرياً وتلبية طلباتها وكان يرفض أن يأخذ منها أي مساهمة منها في مصروف البيت، لهذا عندما طلب منها بعد حملها ترك وظيفتها لم تتردد وو افقت على الفور رغم رفض والدته تركها للعمل.

أخذت (حنان) النقود وقررت الذهاب إلى صالون التجميل، ستبدأ بيديها وعمل ماسكات وحمام مغربي وتشتري بعض الملابس المثيرة التي ترتديها لزوجها داخل المنزل. و أثناء استعدادها للنزول طلب منها ابنها الكبير (عمر) أن تعد لهم الإفطار. على غير العادة قالت له:

- حبيبي انت كبرت خلاص...اعمل لنفسك واخواتك الفطار... أي سندوتشات... الجبن عندكم واللبن.

نزلت (حنان) متجهة إلى صالون التجميل وكان قد مر وقت طويل لم تكن تذهب إلى هناك.. فقد نسيت(حنان) أن تعتني بنفسها بعد ولادتها الأخيرة، فإن مراعاة ثلاثة أبناء الفرق بينهم صغير في السن أمرٌ ليس بالهين بالإضافة إلى أن زوجها مدلّل لا يساعدها أبداً بل هي من تقدم له حتى كوب الشاي الذي لا يستطيع أن يعده لنفسه.

استقبلت عاملة الصالون (حنان) بتَرحاب شديد وقالت:

- أهلا وسهلا شرفتينا... تحبي تعملي إيه؟!

أجابت (حنان) وهي في حيرة من أمرها:

- بصى... أنا باختصار عايزة أبقى (موزّة)... اعمليلي ايديا... وعاوزة ماسكات وظبطيلي حواجبي ووشي.

ضحكت العاملة قائلة:

- تحت أمرك يا فندم... سيبي لي نفسك و أنا اخليكي (موزّة).

جهز (عمر) الإفطار، المكون من الخبز والجبن... حيث إن (عمر) كان الأخ الكبير ذا الثمانية الأعوام، وكان غير معتاد على الأعمال المنزلية واجتمع الاخوة الثلاثة على منضدة الطعام، وقال (فارس) والدموع تنساب من عينيه:

- (عمر)! هي ماما حتموت؟!

أجاب (عمر) بكل براءة:

- لا يا (فارس) دي ماما اتجننت... أنا سمعتها إمبارح وهي بتزعق لبابا وتقول إنها حتبين البوبو.

شهق (فارس) ببراءة واضعاً يده على فمه: "هيه... معقول؟!".

كانت الطفلة تلعب بعروستها وهي تغنى ببراءة:

"ماما بوبو كبير... ماما بوبو كبير.."

****

أنهت (حنان) مهمَّتها عند صالون التجميل ونظرت إلى يديها سعيدة قائلة في نفسها:

- يا سلام... أيوه كده...ده أنا كنت ناسية نفسي من زمان.

رجعت إلى بيتها بعد شراء الكثير من الملابس، وبمجرد دخولها البيت سمعت أولادها يتشاجرون وصرخت فيهم:

- فيه إيه يا ولاد... ما لكم؟!

أجاب (عمر) وهو يبكي:

- احنا جعانين يا ماما.

نظرت الأم إلى يديها بإعجاب وقالت:

- يا حبايبي... (عمر) كلم بابي وقوله يجيب أكل جاهز من بره... أنا خلاص بقيت (موزّة).

ولعبت بأصابعها أمام عينيها وهي في غاية السعادة.

جاءها (عمر) بعد مكالمته لأبيه قائلاً:

- مامي، بابا عاوز يكلمك في التليفون.

وناولها التليفون،و بمجرد أن تناولته قالت:

- (شريف)... يا ريت تجيبلنا أكل جاهزو انت راجع.

زفر(شريف) بغيظ قائلاً:

- ما إنت عارفة إني مش باكل من بره... أنا بحب أكل البيت.

صدمت (حنان) فهي تعلم إن زوجها لا يأكل إلا أكل البيت، ولكنها اعتقدت أنه سوف يتنازل قليلاً لإرضاءها.

أزعنت (حنان) لأوامر زوجها واضطرت أن تدخل إلى المطبخ.. وتشمر عن ساعديها وتبدأ رحلة الكفاح مرة أخرى و... تقشر طلاء الأظافر...

****

قررتْ (حنان) أن تغير الخطة، فإن دخولها المطبخ شرٌ لا بد منه، قررت أن تهتم برشاقتها وبدأت مع أخصائي التغذية الذي نصحها بضرورة اتباع الحمية الغذائية مع ضرورة لعب الرياضة، قررت (حنان) أن تذهب إلى الجيم. وتركت (شريف) مع أولادها وكانت سعيدة جدا بذهابها إلى الجيم ثلاث مرات إسبوعياً.

ذهبت (حنان) اليوم الأول وفوجئت بثقلها الشديد وعدم قدرتها على أداء الحركات الرياضية، لا تملك أيَّ ليونة في جسدها ولكنها كانت سعيدةً وأنهت يومها الرياضي و اتجهت إلى بيتها.

فتحت (حنان) باب البيت بالمفتاح، شمّت رائحة غريبة فدخلت وإذا بها تتعثر على الأرض، إذ يوجد الكثير من اللعب على الأرض، فزحفت (حنان) على الأرض وإذ بها تلمس من السجادة ملمسًا سائلا، شهقت (حنان) في خوف وقالت:

- يا رب... ميكونش اللي في بالي.

استمرت في الزحف على الأرض وهي تدعو الله ألا يكون ما بالسجاد زيتًا مسكوبا، وفجأة سمعت صوت شخير يأتي من المطبخ. زحفت إلى المطبخ لتفوجأ بابنتها الصغيرة ملقاةً على الأرض.. جرت إليها (حنان) وهي تصرخ: "بنتي.. حبيبتي..."!

مسكتها وتحسستها وقالت في نفسها:

- الحمد لله يا رب... دي نايمة... هو فيه إيه... هي إيه اللي نيمها هنا؟!

التفتت حولها ووجدت زجاجةَ الزيت ملقاةً على الأرض، استشاطت (حنان) غضباً ووقفت على أقدامها وأمسكت بالسكين:

- حاقتلهم... حاقتلهم... حقتلك يا شريف إنت وأولادك.

جرت ممسكةً السكين البلاستيكيّ الملقى على الأرض من لعب ابنتها.. و اتجهت إلى غرفتها وفتحت الباب فجأة لتجد منظرًا طالما أحبته... وجدت زوجها نائمًا وعلى كتفه الأيمن ينام (عمر) وعلى كتفة الأيسر ينام (فارس)، فتأملتهم (حنان) في حنان وهي مبتسمة، ويتقلب (شريف) ورآها ويقول:

- إنت لسه ما نزلتيش يا حبيبتي؟. انزلي يلا و أنا حاخد بالي من الأولاد كويس.

ودخل في نوم عميق.

ابتسمت (حنان) في حسرةٍ وحزن وخلعت ملابس الرياضة وارتدت ملابسَ البيت ووضعت الإيشارب على رأسها استعداداً للماتش العالمي... ألا وهو تنظيف البيت.

المجهود الذي بذلته (حنان) في تنظيف البيت كافٍ جداً لأن تقلع (حنان) عن فكرة الجيم التي كانت تسيطر عليها.

التزمت (حنان) بيتها وقد شفيت تماما من آثار الغيرة التي سيطرت عليها لمدة شهرين كاملين، عانى منها كلُّ أفراد الأسرة وتمنت من الله ألا يجمعها بهذه المرأة ثانية. وبدأ الاستقرار يرجع إلى البيت مرة أخرى وتخلت (حنان) تماماً عن مقولة:

"عايزة ابقى (موزّة)"!

****

الخطيئة الكبرى!

وقفت السيارة السوداء المرسيدس أمام باب الفندق، ليخرج من الباب الأمامي شابٌ في منتصف العشرينيات ليفتح الباب الخلفي للسيارة. وتخرج امرأة أنيقة وجميلة من السيارة وتنظر حولها بطرف عينيها، هي تحب أن ترى نظرات الإعجاب تقفز من العيون المحيطة بها... يرضي غرورَها وجود هذا الكم من الرجال الذين ينظرون إليها بإعجابٍ وتكاد أعينهم تقفز من وجوههم لتتبعها إلى داخل الفندق.

تدخل المرأة الجميلة إلى القاعة المقام فيها الحفلة، التي تقيمها الشركةُ التي تعمل بها وقد دعي إليها جميع موظفي الشركة. فتح لها موظف الأمن باب القاعة وهو ينحني لها بكل احترام، تدخلُ لتجد أمامها قاعةً كبيرة تم تصميمها على أحدث طراز، يوجد أمامها ثلاث درجات سلم للنزول إلى القاعة، تقفُ أعلى السلم دقائق لم تطل كثيراً حتى التف إليها عددٌ كبير من الناس وهم ينظرون إليها بإنبهار. تبتسم في غرور... إنها الآن ملكةٌ متوجةٌ ينظر إليها الجميع بانبهار، إنها اليوم ستجذب جميع الأنظار إلى جمالها ودلالها، إنها... (لبنى) أو (ليلو) كما تحب أن ينادوها.

تقدم إليها الأستاذ (عامر) مدير الشركة منحنياً وهو يقبّل يديها قائلاً:

- أخيراً نورتينا... اتأخرتى كتير!

كانت (ليلو) قد تعمدت التأخير، فهي تحب أن ترى نظرة الشوق في أعين زملائها.

أجابت (ليلو) في دلال:

- بنورك يا فندم... ما كنتش أتوقع إن تأخيري حيفرق مع حضرتك.

ظهرت الدهشة على وجهه وقال معاتباً وهو ينظر إليها بعينين تكادن تخترقان فتحات الثوب لتعرف ما بداخله:

- معقول!.. معقول يا (ليلو) مش عارفة إنى قاعد مستنيكي على نار.

ضحكت (ليلو) ضحكةً عاليةً وغمزت له وأدارت له ظهرها ونظرت إليه وقالت في دلال:

- خليك بقى مستني علشان حروح أسلم على باقي الزملاء.

ضحك (عامر) وهو يتجه إلى باب القاعة ليرحب بالقادمين مشيراً للساعة قائلاً:

- حسيبلك ساعة وبعدها إنت بتاعتي.

- حقير. قالتها (ليلو) في نفسها وهي متوجهةٌ لترحب بالموجودين.

****

كانت (ليلو) لا تحب أن تجلس على مائدة في الحفلات، فهي منذ الصغر اعتادت أن تتحرك كثيراً في الحفلات، وكانت حريصةً على الترحيب بكل الموجودين والتعرف عليهم فهي حريصة على لفت أنظار الجميع.

فى أثناء تحركها وقعت عينها على (سامي) بيه كما يحب أن يناديه الجميع، هو رجل أعمال مشهور وصديق حميم لـ(عامر) وكان في صحبة زوجته (ريهانا) الإعلامية الشهيرة.

حياها من بعيد بإنحناءة صغيرة من رأسه، فقد كانا يتجنبان الحديث مع بعضهما، وقفت (ليلو) لتناول بعض المشروبات بإحدى الزوايا بالقرب منهما، ونظرت إليهما لتراقبهما.

كان (سامي) رجل في الخمسينيات، قصير القامة، أسمر اللون ملامحه غير متناسقة، كان دائماً يضع يديه على كرشه البارز مفتخراً به، شعره دائماً مصبوغ باللون الأسود وتتدلى ذقن منه مُحنّاة باللون الأحمر، وأصابع يديه تسبح دائماً مع شفتيه الغليظتين بمسبحة فضية.

كانت (ريهانا) في الثلاثين من عمرها، جميلة و أنيقة، كانت ترتدي ثوبًا أسود طويلًا يظهر كل انحناءات جسدها وتغطي كتفيها بشال أنيق ذهبيّ اللون ليغطي ذراعيها العاريتين.

ضحكت (ليلو) في نفسها من هذا الشال، فإن هذا الشال يشبه (سامي) جداً فكلاهما يخفي الخطيئة بداخله.

****

كانت (ليلو) فتاة جميلة جداً من أجمل فتيات الحيّ الشعبيّ الذي كانت تسكنه مع خمس إخوة وأم أرملة. كانت الأم تكافح وحدها لتعتني بأولادها وكانت تدلل (ليلو) بشدة وتشعرها بجمالها. عندما كبرت (ليلو) وبلغت بدأت تحس بجمالها الأنثوي الذي ظهرَ مبكراً قبل مثيلاتها من الفتيات، كانت (ليلو) بيضاء البشرة مشربة بحمرة، شفتاها مكتنزتان حمراوتان تغطي صفَّيْ أسنان ناصعة البياض متراصين بطريقة دقيقة، عينان واسعتان خضراوتان يغطيهما رموشٌ طويلة، دقيقة الأنف الصغير لدرجة أنه يختفي بين خدين بلوريين. كان شعرها طويلًا ناعمًا أشقر، قوامها مشدود تبدو كعارضة أزياء.

كانت (ليلو) دائما تنظر إلى المرآة، أحبت نفسها وعشقت جسدها، وكانت تتفاخر بجمالها أمام صديقاتها. إلا صديقتها (أميرة)، فقد كانت (أميرة) صديقة الطفولة وجارتها، وكانت (ليلو) تحبها لنقائِها وإخلاصها، كان والد

(أميرة) الشيخ (سالم) شيخ المسجد ولا يحب (ليلو)، كان دائم الذكر إنها "مايعة ومايصة" وكان يخاف منها على ابنه الوحيد (عصام) الذي كان يحب (ليلو) وكانت هي تبادله المشاعر.

لم تحب (ليلو) أحد في حياتها إلا (عصام) وكان يكبرها بثلاث سنوات، قد التحق (عصام) بكلية الهندسة وهي في الصف الأول الثانوي وكانت تحلم بيوم تنفيذ وعده لها بخطبتها، ولكن عندما تكلم مع والده حول خِطبة (ليلو) رفض الأب والأم متعللين أنها لا تصلح له زوجة لأنها غير محجبة وغير متدينة.

كيف لشيخ المسجد أن يزوج ابنه لفتاة غير محجبة وتمشي (تتعايق بجمالها... كما يقول الشيخ). صدمت (ليلو) جداً وحزنت، أما (عصام) فقد حاول كثيراً مع والده أن يقنعه، ووعده أنها ستتحجب فور خطبتهما، بل إن (ليلو) بالفعل لبست الحجاب لترضي والد (عصام) لكن دون فائدة. فما كان من (عصام) إلا أن هرب وتركها. بل إنه هرب من الجميع وسافر للخارج.

حزنت (ليلو) كثيرا وخُيبت آمالها. وحزن الشيخ (سالم) لفراق ابنه واعتبر أن (ليلو) هي السبب، هو اعتبر أن حب (ليلو) لابنه خطيئة لا تغتفر.. أمر ابنته أن تقاطع (ليلو)، حتى أنه نقلها من المدرسة حتى لا تصادقها. و انصاعت (أميرة) لأوامر والدها وقاطعت (ليلو) على الرغم من أنها كانت تحبها، ولكن كانت بين الحينِ والآخر تتكلم معها بدون علم والدها لتطمئن عليها.

كان (سامي) صاحب محلّ بقالة صغير في الحي الذي تسكنه (ليلو) فقد ورثه عن أبيه، كان في الثلاثين من عمره، قصير القامة، ذي لحية سوداء مجعدة كشعره.. وكانت ملامحه غير ظاهرة لها بسبب لحيته الطويلة.. كان الجميع ينادونه: "يا شيخ".

كان الجميع يشتري منه نظراً لأنه كان يبيع بضاعته بالأجل على الرغم من أنه كان يزيد من ثمن بضاعته، حتى إن أمها أيضا كانت تشترى منه وهي مضطرة قائلة: "حنعمل إيه يا بنتى.. ما باليد حيلة ".

لم تستطع (ليلو) حصر عدد الأرامل اللاتي لم يستطعن دفع المبالغ، اللاتي كتبن بها إيصالات الأمانة وتم سجنهن وحرمان أبنائهن منهن بسبب تعنت (سامي) معهن في استرداد أمواله.

كانت (ليلو) دائمًا تتعجب من سلوكه ومعاملته الفظة للناس على الرغم من ذقنه وصلاته الدائمة في المسجد.. وكانت تتعجب من قربه الشديد للشيخ (سالم) حيث كانا يصليان معاً في المسجد ويتسامران معاً في المحل الخاص به.

لم يمر عام على وجود (سامي) في المنطقة حتى فوجئوا بشرائه المحلات التي بجانبه، و افتتاح سوبر ماركت كبير يحتوي على جميع أنواع البضائع من أبسط البضائع إلى الأجهزة الكهربائية.

لم يتساءل أحد من الناس عن مصدر الأموال التي استطاع (سامي) شراء المحلات والبضائع بها... وكان يكفى وجود اللحية حتى لا يجرؤ أحد على الشك فيه أو الكلام عنه.

بعد مرور عدة أشهر فوجئت (ليلو) بصوت الزغاريد والأغاني التي تنبعث من شقة الشيخ (سالم) والأنوار في الشارع تمتدُّ من بيت الشيخ (سالم) إلى السوبر ماركت الخاص بـ(سامي) وإذ بأمها تدخل عليها وهي تقول بحسرة:

- أدي الجوازات ولا بلاش.. مش سي (عصام) اللي كنت عاوزة ترازينا بيه.

أذاعت الأم لإبنتها خبر كتب كتاب (سامي) على (أميرة)، صدمت (ليلو) وثارت... كيف للشيخ (سالم) أن يزوج ابنته لهذا الشخص؟ لقد رفض أن يزوجها ابنه لأنه اعتبر أن ظهورها في الشارع بشعرها خطيئة، لقد اعتبر أن جمالها ودلالها خطيئة ولكنه لم يعتبر أن قسوة (سامي) على الأرامل وزيادة الأسعار عليهم وحبسهن خطيئة، لم يعتبر أن أمواله التي جمعها من استغلاله حاجة الناس خطيئة.

لقد اعتبر الشيخ (سالم) مراهقة في السادسة عشرة من عمرها خطيئة لا تصلح لابنه زوجة، بينما اعتبر أن زواج ابنته من رجل يكبرها بخمسة عشر عاماً، جمع ماله من دم وكفاح الأرامل والمساكين ليست خطيئة.

****

تزوج (سامي) من (أميرة) وحصلت على الثانوية العامة ورفض زوجها دخولها الجامعة أو معهد بينما التحقت (ليلو) بأحد المعاهد الخاصة، التي لا تشترط الحصول على درجات مرتفعة..

انتبهت (ليلو) لجمالها أكثر واعتبرت نفسها ملكةً متوجة، بينما أطلق عليها زملاؤها وزميلاتها لقب "الكونتيسة الحافية". فقد كانت (ليلو) لا تكتفي بالتفاخر بجمالها بل كانت تدعي النسب العريق والثراء، وكانت تتطلع لمصاحبة الأثرياء وذوي النفوذ وبالطبع كانت ملابسها التي ترتديها تفضحها، على الرغم من ذوقها العالي في اختيار ملابسها ولكنها كانت من خامات رديئة.

كانت (ليلو) منتظمة في الذهاب إلى المعهد، ليس حباً في التعليم ولكن حباً في الظهور ومصاحبة الأغنياء واصطياد الزوج الذي سيحقق لها أحلامها.

ذات يوم، أثناء رجوع (ليلو) من المعهد، إذ بها تفوجأ به أمامها، إنه (عصام) فقد رجع... دق قلبها سريعاً حتى كاد أن يقف، نظرتْ إليه بعين كلها شوق وحب وشعرت أنها رجعت لبراءتها وأنها سامحته على تركه لها وهجره ولكن... لم تكن (ليلو) لاحظت هذا المرأة التي تقف جانباً... يبدو أنها زوجته وها هو الشيخ (سالم) وزوجته يقبلونها بسعادة ويرحبون بها بحرارة.

لم يدهش (ليلو) ترحيب الشيخ (سالم) بها ولكن ما أدهشها وجعلها كالمجنونة و أثار فيها كل مشاعر الكراهية لهذا الرجل بل وللمجتمع كله، أن العروس كانت... أجنبية.

شعرُها أصفر ذهبي، عيناها زرقاوتان، نحيفة وما ترتديه كان كاف جداً لاسترجاع مرارة الماضي، فقد كانت ترتدي بنطلون جينز مقطعًا من الفخد كما بالموضة ومن الأعلى ترتدي تيشيرت عارية الأكمام تبرز نهديها المرتفعين، كانت تطلق شعرَها الذهبي فوق كتفيها.

أثار رؤيتها لترحيب الشيخ (سالم) للزوجة الأجنبية ثورةً شديدة بداخلها، ضد هذا المجتمع الظالم، لماذا رفض زواجها من ابنه؟ لأنها كما قال غير ملتزمة وكسر قلبيهما... بينما يو افق على زواجه من أجنبية ولا يعرف لها ماضيًا ولا حاضرًا ولا نسبًا ولا دينً؟ لماذا عندما يتزوج الرجل من فتاةٍ مصريةٍ يضع تحركاتها وعلاقاتها وماضيها، في كفة ليوزنها ويحكم بها على أخلاقها بينما عندما يتزوج أجنبية لا يهتم بالسؤال عن ماضيها؟

لماذا لا يهتم الرجل بعفة الأجنبية وعذريتها، ولا يهتم بعدد الرجال التي مارست معهم الجنس ويتغاضى عن كل ذلك بينما مع المصرية يحاسبها على علاقتها الشريفة بخطيبها السابق أو حبيبها؟!

إنه مجتمعٌ مريضٌ لا يستحق أن يضيع أحد وقته لعلاجه. فليظل مريضًا وليدفن الكل رأسه في التراب وستعلو هي وتعلو حتى تصل للقمة، التي تقف فيها بالأعلى والجميع ينظر إليها ويتمنى رضاها، إنها الملكة المتوجة... إنها (ليلو).

****

أفاقت (ليلو) من شرودها وهي تقف أمام (سامي) وتنظر إلى زوجته وتتساءل في نفسها:

- ترى... ما مصير (أميرة)؟! هل طلقها (سامي)؟! أو أنها اضطرت أن تقبل هذا الوضع التي تعودت زوجات رجال الأعمال أن يقبلنه؟

تضحك (ليلو) في نفسها وتقول:

- كما ظلمتني يا شيخ (سالم)... بعث الله من ظلم ابنتك.

****

تركت (ليلو) مكانها وسارت بدلال ورشاقةٍ حيث باقي الزملاء. وكانت تمر على كل زميل أو زميلة وتضحك في نفسها... كل هؤلاء خطايا ولكنهم يعتبرونها هي الخطيئة الكبرى.

فها هي تحيّي (طلال) وزوجته (إسراء)، إنهما يعملان معاً في نفس الشركة.

إن (طلال) حاول أن يقيم علاقةً مع (ليلو) عدة مرات ولكنها رفضت بشدة، ليس لأن عندها مبادىء وقيمًا، بل لأنها ملكة متوّجة لا يصح للملكة أن تقدم نفسها بلا ثمن، وهي تعتبر أن ثمن نفسها هو الزواج.

عندما فشل (طلال) في إقامة علاقة معها أطلق عليها "الغانية". إنها غانية لأنها رفضت الزنا. وهو الذي يزني ويخون ويشرب ويسكر سوف يهديه الله!

إن (طلال) لا ينفق على بيته، إنه يحمل زوجتَه كل نفقات المعيشة، فقد أقنعها أنها مقصرة في أداء واجباتها نحوه ونحو أولاده، فيجب أن تعوّضه وتعوّض أولادها بانفاقها على البيت.. أما هو فإنه ينفق نقوده على ملذاته ومتعته.. إن المجتمع لا يحاسبه عن تخليه عن واجباته نحو بيته ولا يحاسبه عن علاقاته الغرامية، على الرغم من أنه متزوج ولكن يحاسبها هي عن محاولاتها للإيقاع بالرجال.. على الرغم من أنها تقوم بالإيقاع بالرجال لتتزوج على سنة الله ورسوله... هل طلب المرأة للزواج لتعف نفسها خطيئة كبرى لا تغتفر؟!

****

استأذنت (ليلو) من (طلال) وزوجته بعد أن حيّتهم، واتجهت إلى الحمام لضبطِ مساحيق التجميل التي وضعتْها بعنايةٍ شديدة. وفي أثناءِ توجهها شاهدت الشيخ (عماد) الكفيف، إنه شيخ بركة كما يقول (سامي).

كان (عامر) حريصًا جدًا على وجود الشيخ (عماد) مقرئ القرآن في جميع حفلاته. كان دائمًا يبدأ فقرات الحفل بتلاوة القرآن بصوت الشيخ (عماد)، وكان صوته بالفعل جميلاً.

بدأ الحفل والجميع منصت لتلاوة الشيخ (عماد) الذي بمجرد أن انتهى حيّاهُ الناس فعلاً بكل احترام، قال (سامي):

- الله ينور يا شيخ. أيوه كدة نبدأ حفلتنا بكلام ربنا.

استطرد (طلال) موجهاً حديثه إلى (سامي):

- والله صوت شيخنا جميل جداً.. ربنا يكتر من أمثاله.

طلب (عامر) من باند الموسيقى أن يبدأ الغزف على ألحان الزمن الجميل، وبدأت الألحان والمدعوون في منتهى السعادة، ألحان لأغاني أم كلثوم وفيروز ونجاة الصغيرة وفجأة أمسك (عامر) بالميكروفون ورحب بالمدعوّين قائلاً:

- سيداتي... سادتي.. أرحب بكم جميعاً وأشكركم لحضوركم المشرف.

التفت إليه المدعوون مرحبين وشاكرين لهذا الاحتفال... استطرد (عامر) حديثه قائلاً:

- أقدم لكم اليوم مفاجأة جميلة... صوت جميل ساحر.

صفق الجميع بحرارة منتظرين ظهور صاحب الصوت الجميل.. وإذ(بعامر) يتقدم ممسكاً بيديه الشيخ (عماد) وقرب إليه الميكروفون ليبدأ الشيخ في غناء أغنية لأم كلثوم.

استمع الجميع للغناء منبهرين بصوت الشيخ.

"صوته رائع... مش كده؟". قالت (إسراء) وهي موجهةٌ نظرها إلى (ليلو) التي كانت رجعت لتجلس بجانبها.

أجابت (ليلو):

- هو فعلاً صوته رائع... بس اصبري لما تشوفي النقد اللي حياخده.

قالت (إسراء) في تعجب:

- نقد ليه بقى إن شاء الله... ده ما شاء الله صوته تحفة.

ضحكت (ليلو) ضحكة ساخرة وهي تقول:

- يا بنتي ده مجتمع ما بيرحمش الضعيف، وما بيقدّرش المواهب وبيقبل على نفسه اللي بيرفضه على غيره.

تعجبت (إسراء) من حديثها وتساءلت:

- إيه يا بنتي الكلام الكبير ده كله؟!

أجابتها (ليلو) بمنتهى الثقة:

- طيب... بصي حواليكي و إنت حتصدقيني.

نظرت (إسراء) جانبها لتجد زوجها ممتعضًا ويبدو عليه الاستنكار، سألت (إسراء) زوجها:

- ما لك مكشر كده ليه؟!

أجابها (طلال) وهو متعجب من سؤالها:

- مكشر كده ليه؟! إنت مش شايفة المسخرة؟! شيخ بيغني لأم كلثوم...عاجبك الكلام ده؟!

أجابت (إسراء) في تعجب:

- وما له؟! ما إنت طول اليوم بتغني لأم كلثوم وبتعشقها!

أجابها وهو يزفر:

- إنت يا بنتي دماغك دي فيها إيه؟! هو أنا شيخ؟!

استفزها حديثه وقالت:

- يا سلام!.. دماغي أنا اللي فيها حاجة؟! لاحول ولا قوة إلا بالله...هو الراجل كان عمل إيه يعني؟!

- لا يا شيخة... عادي يعني إنه يغني وهو شيخ بعمة؟!

أجابت (إسراء) وقد شعرت بالضيق من زوجها:

- أيوه.. عادي جداً وطبيعي إن واحد صوته حلو يغني... ولو الأغاني حرام تبقى حرام عليك وعليه ولو حلال تبقى حلال ليك وليه.

كانت (ليلو) تنصت إلى حوارهما وتضحك في نفسها.. إن (إسراء) طيبة وساذجة لا تعرف ما يدور من ألاعيب... إنها تحب (إسراء) فهي تذكرها بصديقتها (أميرة) فهي أيضاً مسكينةٌ بهذا الزوج المخادع سيكوون مصيرها كما هو مصير (أميرة)، و ابتسمت في حسرة... لأنه أيضا نفس مصيرها.

بعد أن فوجئت (ليلو) بحبيبها (عصام) وقد تزوج من أجنبية بمباركةِ والده الشيخ (سالم)، قررتْ ألا تسمح لقلبها بالتدخل في قراراتها، إن قلبها سيكون ملكا لها لن يحب أحدا إلا (ليلو).

بالفعل أحبت (ليلو) نفسها وأحبت جمالها، وفي السنة الأولى من الجامعة كانت (ليلو) قد نضجت أنوثتها جداً واشتهت نفسها واشتهت للمسة رجلٍ لجسدها، واشتاقت القبلات والأحضان، واشتاقت لمن ينظرُ إليها بشهوة.

كانت عينا (ليلو) تفضحانها.. يكاد لسانها ينطق بما في داخلها من شهوة ولكن رغم عذابها كانت ترفض تماماً أي محاولة من أي شاب يحاول أن يتذوقها دون زواج.. فهي ليست رخيصةً كي تقيم علاقة لا تنتهى بالزواج... هي الملكة المتوجة... هي (ليلو).

التقت (ليلو) بـ(طارق) صديق لزميل لها.. انبهر(طارق) بجمالها ودلالها وبالطبع أحسَّتْ (ليلو) بإعجابه بها فهي دائماً تبحث عن العيون المنجذبة لها، شاغلته (ليلو) وألقت بشباكها عليه، لم تمضِ إلا شهور وكان (طارق) مع أهله في بيت (ليلو)، وتم الاتفاق على الزواج وعلا صوت الزغاريد ودخل الفرح البيت.

لم تمر أيام إلا وكانت (ليلو) قد أظهرت جميع مفاتنها (لطارق)، ذاب (طارق) عشقاً في (ليلو) التي كانت هي تذوب عشقاً في جسدها.

كان (طارق) يعمل محاسباً في مصلحة الضرائب، واستطاع خلال عام تجهيز شقةِ الزوجية بكل محتوياتها فقد أخبرته والدة (ليلو) أنها لا تملك مالًا لتزويجها. وبالطبع و افق (طارق) على تحمل جميع نفقات الزواج.. وتزوجا (طارق) و(ليلو) و أقاما حفل عرسهما في أحد أفخم القاعات المخصّصة لحفلات الأفراح بناء على طلب (ليلو).

دعت (ليلو) جميع معارفها وأصدقائها وكانت حريصة على دعوة (أميرة) ووالداها حتى تفتخر أمامهم.

حضرت (أميرة) الحفل وكان عليها مظاهر الثراء وكان معها طفلان. فقد عرفت (ليلو) من قبل أن (سامي) اشترى سلسلة محلات ماركت شهيرة جداً بثمن باهظ جداً، ولكن انقطع أخبارهما منذ أن باع السوبر ماركت القديم.

عندما حضرت (أميرة) حفل الزفاف فرحت (ليلو) بشدة فلم تكن تتوقع أن تأتي إليها صديقة العمر، فما كان من (ليلو) إلا أن تركتْ عريسها وجرت لصديقتها تحتضنها بشدة، وبادلتها الأخرى نفس المشاعر ولكن (ليلو) شعرت بالدموع التي تأبى أن تتساقط من عيني صديقتها.

****

كانت حفلة (ليلو) من أفخم حفلات الزفاف بين أصدقائها. فقد كانت حريصةً على الظهور بمظهر يظهرها من الطبقات الثرية وكانت فعلاً (ليلو) تشبه النساء الثريات.

ليلة الزفاف كانت ليلةً فاصلة في حياة (ليلو)، فقد ذاقت (ليلو) جسدها الذي ذاب في جسد (طارق).. وشعرت (ليلو) بمتعةٍ شديدة لم تشعر بها من قبل، لقد فقدت اتصالها بالعالم الخارجي، لم تسمع إلا صوت الآهات، ولم تشعر إلا بلمس أصابع (طارق) على جسدها، وأنفاسه التي تخترق جسدها فتزيد القشعريرة وتتوالى الآهات.

انتهى (طارق)... ولكن (ليلو) لم تنته، فهي تريد المزيد...

بدأت الحياة الزوجية و انتهى شهر العسل... من وجهة نظر (طارق)، لكن (ليلو) تريد حياتها كلها شهر عسل، فهي ملكةٌ متوجةٌ لا تقوم بالأعمال المنزلية، طلبت (ليلو) مديرة منزل لتشرف على الأعمال المنزلية، واعتاد زوجها على الوجبات الجاهزة.

كانت (ليلو) تصحو من النوم متأخرًا، لتذهب إلى مراكزِ التجميل، ثم تتسوق في المولات وتذهب إلى النادي لتقابل صديقاتها التي اختارتهم بعنايةٍ شديدة من طبقة الأغنياء.. حرصت (ليلو) على مقاطعة جميع صديقاتها السابقات خاصة بعد وفاة والدتها، حتى أخويها لم تعد تطيق التحدث إليهم.. فهي تريد حياة جديدة... حياة الأثرياء.

أما (طارق)، فقد اعتاد على تنفيذ طلبات (ليلو)، فهو كان يشتاق إليها إذا بعد عنها، ولا يتحمل أي خصامٍ قد يجعلها تمتنع عنه، فهو لا يتحمل أن يمر يومٌ بدون أن يباشر معها العلاقة الزوجية.

لم تسأل (ليلو) يوماً عن مصدر النقودِ التي ينفقها (طارق) لإرضائها. فهي أيضا كانت لا تسأل أمَّها عن مصدر النقود، كان كل ما يهمها هو تحقيق أحلامها.

لم يكن (طارق) معدوم الضمير ليرتشيَ أو يسرق، ولكنه اعتمد في حياته على السلف وعدم الرد. كان يستلف من جميع أصدقائه ويتغاضى عن ردِّ الأموال إلا لو كانت مبالغ كبيرة فإنه كان يرجعها على دفعات كثيرة. التحق (طارق) بعملٍ آخر، ليزيد من دخله حتى يستطيع أن يحيا حياة الأثرياء التي تعشقها (ليلو).

على الرغم من انشغال (طارق) الشديد، إلا أنه كان عليه يومياً أن يؤكد على حبه الشديد (ليلو) و انبهاره بجمالها و أنه ما يزال يشتاق إلى جسدها، هو بالفعل كان يحبها ولكنه اعتاد على جمالها ولم يعد يرغب فيها يومياً.

لكن (ليلو) كانت لا ترضى إلا أن تستمتع بجسدِها يومياً وأحياناً أكثر من مرة في اليوم إذا كان (طارق) متواجدًا في المنزل.

رزق الله (ليلو) بطفلين جميلين، أحبهما (طارق) بشدةٍ وارتبط بهما أكثر عندما لاقا إهمالًا شديدًا من (ليلو)، فلم تتغير حياة (ليلو) كثيرًا بعد ولادتها. بل على العكس، لقد زادت من جنونها بنفسها، ولقد كانت كثيرة الذهاب إلى مراكز التجميل لتصلح ما أفسدته الولادة، وازدادت رغبتها في (طارق) لتستمع بنظرة الشهوة في عيون زوجها.

اعتاد (طارق) على الإشراف على شئون المنزل، والعناية بأولاده فكان نعم الأب والأم.

وكان أيضا نعم الزوج فقد كان يتفانى في إمتاع زوجته كما كانت تتفانى هي في إمتاعه.

مرت السنوات، وكبر الأولاد وازداد تعلقهم بأبيهم، وأصبحت (ليلو) في الثلاثين من عمرها. أنثى تشتهيها كل العيون، تحولت من " لكونتيسة الحافية" إلى امرأة جميلة ثريّةٍ تبهر العيون وتلفت الأنظار.

****

"هاي... سرحانة في إيه يا (ليلو)؟!". قالت (إسراء) وهي تنظر إلى (ليلو).

أفاقت (ليلو) من سرحانها وقالت:

- أبداً يا (إسراء)... أنا معاكم أهو.

قالت (إسراء) وهي تشر إلى (طلال):

- تخيلي يا (ليلو) إن (طلال) مش عاجبه الشيخ اللي بيغني... قال بيقول: ده حرام.

أجابتها (ليلو) وهي تنظر إليه مبتسمةً ابتسامة سخرية:

- بجد يا (طلال) حرام إن الشيخ يغني؟!

واستطردت (ليلو) متسائلة في سخرية:

- أمال اللي بيخون مراته... وبيشرب خمرة يبقى إيه؟!

أحمر وجة (طلال) ونظر إلى (ليلو) نظرة تحدٍّ وقال:

- الشيوخ طالما قرروا يمشوا في طريق الدين، لازم ياخدوا بالهم من تصرفاتهم لإن الناس بتقلدهم.

ردت (ليلو) بنبرةٍ حادة:

- و انتم بقى اللي حتقيموهم وتحاسبوهم طيب ما تحاسبوا نفسكم الأول.

تدخلت (إسراء) في الحوار عندما استشعرت بوجود خناق:

- صلوا على النبي يا جماعة... انتم حتتخانقوا؟!

أجابت (ليلو):

- ولا حنتخانق ولا حاجة... دي وجهات نظر وكل واحد حر في وجهة نظره.

ثم وقفت (ليلو) تستأذنهم الذهاب:

- بعد إذنكم... حجهز حاجة أشربها.

توجهت (ليلو) إلى المائدة المخصصة للمشروبات، ورأت مرة أخرى (سامي) وبجانبه زوجته الإعلامية الشهيرة وهما يتبادلان الأحاديث مع (عامر) ورجال أعمال من صفوة المجتمع.

غمز لها (عامر) دون أن يلحظه أحد، ابتسمت له (ليلو) ابتسامتها الساحرة التي تستدعي بها شهوة الرجال، وأكملت طريقها إلى المائدة وهي تتبرَّمُ في نفسها وتقول:

"منك لله يا (طارق)... إنت اللي حوجتني للأشكال دي".

****

تغيَّرتْ معاملة (طارق) وأصبح يحاسب (ليلو) على إهمالها في البيت وتقصيرها مع الأولاد.. لم يعد (طارق) حريصًا على إرضائها وتنفيذ كل طلباتها.. وازداد اهتمامه بأولاده حتى إن (ليلو) أصبحت تغار من أولادها.. هي لم تعتدْ أن تكون مُهملة.. وزاد الطين بلة، أنها هي من أصبحت تطلب لقاءهما اليومي.

شعرت (ليلو) بالإهانة لجمالها فقررتْ أن تعاقب (طارق) بأن تمنع منه نفسها، لكنها صدمت وفوجئت بأن (طارق) لم يتأثر كثيراً بل على العكس كان سعيداً بهذا العقاب.

اكتشفت (ليلو) أن هذا العقاب ما هو إلا عقاب لها. يومان من الهجر كافيان لأن ينقلب مزاج (ليلو) ويحوّلها إلى وحشٍ كاسر.

استخدم (طارق) هذا العقاب أثناء شجاره مع (ليلو)، وبالفعل كانت (ليلو) تستسلم فهي لم تكن قادرة على الهجر في الفراش.

أصبح (طارق) قوياً ولم يعد يشتهيها مطلقاً، فقط كان يؤدي واجبه فهو يخاف أن يحرم (ليلو) من حقها وهو لا يعرف العو اقب من هذا الحرمان.

لم تشعر (ليلو) بهذا التغيير فهي لم تكن تنتبه إلى أحدٍ إلا نفسها. ولم يكن يهمها مشاعر (طارق) قدر ما كان يهمها إقامة العلاقة الزوجية إشباعاً لحبها لنفسها.

بدأ (طارق) في التغيب عن المنزل لأيام كثيرة بحجة العمل، وكانت (ليلو) وقتها في غاية العصبية وكانت تقضي يومها كله بالخارج مع صديقاتها.. اشتكى الأولاد لأبيهم إهمال أمهم لهم.. عندما واجهها (طارق) بإهمالها لأولادها، ما كان منها إلا أن قالت:

- خدهم معاك لو خايف عليهم قوي.

حسم (طارق) أمره وقرر الانتقال للعمل في محافظة أخرى وطلب من (ليلو) أن تأتي معه، بالطبع (ليلو) رفضت أن تترك دنياها وتذهب بعيدًا عن أصدقاء النادي ومراكز التجميل، ولكنها أيضاً رفضت أن يذهب (طارق) للعمل الآخر.

فما كان من (طارق) إلا أنه حزَّم أمتعته، وترك (ليلو) ووعدها أن يأتي إليها يومي الخميس والجمعة.

ثارت (ليلو) ثورةً كبيرة وحاولت إثناءه عن إكمال أوراق العمل الجديد ولكن بدون فائدة فإن (طارق) يصر على الانتقال من العمل إلى عمل آخر في محافظة أخرى.

****

سافر (طارق) للعمل وترك (ليلو) مع الأولاد وحدهم، وكان حزينًا للغاية لفراق أولاده ولكن ما باليد حيلة فهو لم يعد يتحمل العيش معها. كان (طارق) دائم الإتصال بأولاده، وكانت (ليلو) كالعادة دائمة التواجد بالخارج.

أثناء الإجازة الإسبوعية (لطارق)، كانت (ليلو) تحاول دائماً إثناءه عن السفر ولكن بلا فائدة. وزادت الفجوة بين الزوجين، وزادت رغبة (ليلو) على الرغم من سوءِ العلاقة بينهما. وأصبح (طارق) يعيش في ضغط عصبيٍّ شديد وأصبحت (ليلو) تتعامل بعصبية شديدة وتهمل أكثر وتتواجد بالخارج أكثر.

إلى أن فوجئت (ليلو) بالحقيقة التي تكتشفها بسرعةٍ أي زوجة غير (ليلو)...

لقد تزوج (طارق)...

انهارت (ليلو) لمعرفتها الخبر من إحدى صديقاتها التي أخبرتها أنها رأت (طارق) مع إمرأة في أحد الفنادق، وقررتْ أن تواجهه فقد كان عندها أملٌ أن تكون علاقة عابرة.

فى أحد أيام الإجازة، حيث كانت (ليلو) ترتدي ملابس مثيرةً جداً وقد زادت رغبتها في (طارق) الذي كان في قمة البرود، حاولت كثيراً أن تثيره وتستحثه على إقامة العلاقةِ الزوجية معها إلا أنه لم يستجب.. ثارت (ليلو) قائلة:

- هو فيه إيه؟! ما لك؟! بقالك مدة مش متظبط... فيه حاجة؟! إنت تعبان؟!

أجاب (طارق) وهو يريد الخلاص منها:

- اه تعبان شوية... معلش خلينا يوم تاني.

تساءلت (ليلو) قائلة وهي تكاد تنهار:

- قصدك أيه بتعبان؟ ..مريض يعني؟.

أجاب (طارق) وقد بدأ يفقد صبره:

- مريض إيه...؟! انت حتعملي أفلام؟!

بدأت (ليلو) في الانهيار وأمسكت بملابسه وقالت وهي تصرخ:

- يبقى اللي أنا بسمعه صح...إنت مصاحب واحدة؟!

فوجئ (طارق) وأدار لها ظهره بعد أن أزاح يديها قائلاً:

- إيه الهبل اللي بتقوليه ده؟!

جذبته (ليلو) مرة أخرى من ملابسه قائلة وهي تصرخ:

- بصلي هنا وكلمني.. واحدة صاحبتي قالتلي إنها شافتك مع واحدة في فندق.. الكلام ده مظبوط؟!

سكت (طارق) برهة فقد أحس أنه وقت مناسب لمعرفة (ليلو) بزواجه وقال:

- بصي يا (ليلو).. إنت عارفة إنى بتقى الله... و إني مش بتاع لف ودوران... بصي يا (ليلو) دي مر اتي على سنة الله ورسوله.

صرخت (ليلو) من الصدمة، فهي لا تصدق أن يتزوج عليها (طارق) أو أي رجل.. كيف لرجل قد ذاق (ليلو) أن يفضل عليها امرأة أخرى... من تلك التي تكون أجمل من (ليلو)؟!

تداخلت الأفكار والصدمات وانهارت (ليلو) وصرخت وهجمتْ على (طارق) وهي تصارعه وتصفعه على وجهه، وهو يمسك بيديها تارة ويصفعها تارة كي تفيق من هيجانها.

- فيه إيه؟! إنت إتجننتي يا (ليلو)؟! إهدي يا مجنونة.

قالت وهي تصرخ:

- أهدي إزاي؟ اتجوزت؟ بتقول اتجوزت؟ أنا (ليلو) تتجوز عليّ؟!

استطردت (ليلو):

- مين السافلة اللي انت إخترتها دي؟. ضحكت عليك وقدمت لك إيه؟! أكيد... وقاطعها (طارق) وهو يصرخ في توعد:

- اقفي عندك... إياك تغلطي فيها ولا تجيبي سيرتها بالوحش... فاهمة ولا لأ؟!

تراجعت (ليلو) وتعجبت بشدة قائلة وهي تبكى بشدة:

- للدرجة دي؟! للدرجه دي يا (طارق)؟! بعتني بسرعة كده... مش طايق... مش طايق حد يجيب سيرتها... بعت العشرة بسهولة كده؟!

وبكت (ليلو) بكاء هستيري، لأول مرة تبكي (ليلو)، أول مرة يرى (طارق) دموعها الحقيقية، قد كان (طارق) معتادًا على الدموع المزيّفة التي تتصنّعها (ليلو) لتجبره على تنفيذ طلباتها.. لم يشفق (طارق) على (ليلو) ولم يحاول أن يعتذر ويسوّغ لها أسباب زواجه.

تركها (طارق) وهو يقول بقسوة:

- حسيبك كم يوم تهدي وتقرري إنت عايزة إيه وحكلمك؟

غادر (طارق) وترك (ليلو) وحدها التي انهارت أكثر بسبب قسوة (طارق) التي لم تتعود عليها من قبل، فهي لم تعهد (طارق) قاسياً.

****

مرت الأيام ولم تفكر (ليلو) في طلبِ الطلاق، كل ما كانت تفكر فيه هو من تكون هذه المرأة؟ وكيف تبدو؟! لم تتصور (ليلو) وجود امرأة أجمل منها، ليست فقط أجملَ منها بل وتعطي (طارق) ما أعطته له (ليلو) من جمال ودلالٍ وحسن أداءٍ في الفراش. فقد كانت (ليلو) كالقنبلة المشتعلة في الفراش وكانت تستطيع أن تفجّر طاقات أي رجل، إن (ليلو) أنثى متكاملة، لا يتصور أحد أن يخونها زوجُها.

أصرت (ليلو) على رؤية هذة المرأة، فدبّرت يومًا كانت تعلم أن (طارق) سيقضيه مع تلك المرأة ور اقبت زوجها.. ركبت (ليلو) سيارتها وقادتها خلف سيارة زوجها، وإذ به يركن سيارته أمام مبنى قديم في حيٍّ غير راقٍ، بدأت (ليلو) تشعر بالتوتر الشديد، ور اقبته وهو يدخل المبنى وخرجت من سيارتها لتتبعه.. وسألت حارس المبنى عن (طارق) فأجابها أنه زوج السيدة (هدى) التي تسكن الدور الثالث.. وصعدت (ليلو) الدرج فكان لا يوجد مصعد بالمبنى.. وطرقت الباب حيث وصف لها حارس المبنى.

فتحت الباب امرأةٌ في الثلاثين من عمرها، سمراء اللون، ممتلئة القوام، تلبس إسدال الصلاة. ذهلت (ليلو) لوهلة إلى أن جاءها صوت المرأة قائلاً بارتباك:

- أهلاً وسهلاً... حضرتك مدام (ليلو)؟!

أزاحت (ليلو) الباب ودخلت قائلة:

- يااااه... ده إنت عارفاني!

دخلت (ليلو) المنزل وهي تنظر باحتقار على أثاث المنزل القديم، والجدران التي يبدو أنها طليتْ حديثا، و اتجهت لأقرب كرسيٍّ وجلست قائلة في لهجة آمرة:

- روحي نادي سيدك.

نظرت إليها المرأة وقد صدمت للهجتها ولكنها ردتْ عليها بذكاء وقالت:

- سيدي وتاج راسي... ربنا يخليهولي ويبعد عننا ولاد الحرام.

ثارت (ليلو) بعد سماعها رد المرأة وإذ بها تقفز من كرسيها، تتهجم على المرأة وتصرخ فيها وهي تشد شعرها وتنعتها بأقبح الشتائم، ويخرج (طارق) على صوت الصراخ ويفاجأ بزوجته (ليلو) وهي تعتدي على زوجته (هدى).

أزاح (طارق) زوجته (ليلو) بعنف وصفَعها على وجهها صفعةً أسقطتها أرضاً، وساعد (هدى) على الوقوف وطلب منها أن تدخل تداوي جرحها ولا تخرج من حجرتها.

أجهشت (ليلو) في بكاء هستيري وهي تقول:

- ليه؟! وليه دي؟ دي لا شكل ولا منظر...إنت إزاي تكسرلي كده؟! أنا عملت لك إيه؟!

أجابها (طارق) مدافعاً عن نفسه:

- ولا حاجة... إنت ماعملتليش أي حاجة...مفيش حاجة حلوة عملتهالي... عمرك ماحسيتي بيّ... عمرك ما اتصلتي حتى علشان تطمني عليّ... عمرك ما فكرتي في حد إلا في نفسك... حتى أولادك عمرك ما فكرتي فيهم... أهم حاجة نفسك وبس.

جلس (طارق) على الكرسى ينظر إلى (ليلو) المستلقاة على الأرض و ابتسم بحسرة قائلاً:

- يمكن لو كنت لطشتك قلمين على وشك وفوقتك من زمان، كان حالنا بقى أفضل.. مكنتيش عليتي على الناس كده... يمكن لو ما كنتش ضعيف أدامك وأدام جمالك كان يبقى حالنا أفضل... كنت اهتميتي بيّ وبأولادك.. كان المفروض ما أسيبكيش تتنفخي كده... ممكن أكون كنت غلطان إني سيبتك، بس أنا مش قادر أكمل. مش قادر أحس إني راجل له بيت وزوجة وأولاد وله حقوق.

نظرت إليه (ليلو) والدموع تنساب من عينيها:

- يااااه... أنا وحشة قوي كده؟! أنا لا خنتك ولا حرمتك من حقوقك الزوجية.. وكنت بعمل المستحيل علشان أتجملك وأعجبك... بتحاسبني على إيه؟.على إني بروح مراكز تجميل... على إني بهتم بجمالي!

- اتخنقت. قالها (طارق) وهو يقف ويدير لها ظهره واستطرد قائلاً:

- اتخنقت يا ستي... كل يوم.. كل يوم (ليلو) وجمال (ليلو) وحلاوة (ليلو).

قاطعته (ليلو) قائلة:

- وكان فين الكلام ده في أول حياتنا لما كنت بتاخدني معاك الحفلات وتتعايق بيّ، وتخليني أعرفك على أزواج صاحباتي في النادي اللي كنت بتمشي شغلك معاهم وتستفيد من وراهم. مش إنت اللي كنت بتقولي روحي النادي اتعرفي على الستات زوجات رجال الأعمال؟ مش إنت اللي كنت بتقولي نحضر كل حفلاتهم ونعيش زيّهم علشان نوصلّهم؟ بعد ما وصلت وأخدت اللي إنت عاوزه زهقت من (ليلو)؟ زهقت من جمالي لما ما بقاش يفيدك... طبعا.. ما إنت خلاص وصلت وبقى لك شغلك الخاص وتجارتك وناسك في السوق. ما بقيتش محتاج حد يعرفك على حد.

سكتت (ليلو) فقد أرهقها البكاء والصراخ، وسكت (طارق) فإن كلام زوجته صحيحٌ، فهو زهدها ولم يعد بحاجة إليها. هو الآن يحتاج إلى حضن امرأة، يحتاج إلى بيت يجمعه مع زوجته وأولاده، هو يشتاق لأن يرجع من عمله مرهقاً ويجد زوجه تنتظره بوجبةٍ ساخنة، لقد اشتاق لطبيخ أمه واشتاق لرائحة الطعام في المنزل، اشتاق لجلوسه على مائدة الطعام مع زوجتِه وأولاده، اشتاق لطلب كوب شاي من زوجته، اشتاق لأن تتجمل زوجته إرضاءً له وليس إرضاء لنفسها.

لهذا عندما تعرف إلى (هدى) أرملة صديقه التي قصدته للتدخل بينها وبين أهل زوجها للتصالح في قضايا الميراث، وجد فيها ما يفتقده في (ليلو)، وجد فيها امرأة زوجها هو شاغلها، وبيتها وأولادها من أولوياتها.

كانت (هدى) امرأة بسيطة المظهر، حسنة الملامح، تميل إلى القصر أقرب منه إلى الطول، عندها ابنه تعشقها وتكرّس كل وقتها لها.

أحبها (طارق) ولكنها قاومت في البداية وزاد تمسك (طارق) بها.. وتقرب منها ومن ابنتها حتى جعل الابنة تحبه وتشتاق إليه، بعدها طلب من (هدى) الزواج والتي بدورها رفضت أن تكون زوجة ثانية. لكن (طارق) تمسَّكَ بها واستعان بوالدها لإقناعها بالزواج منه، واستمر في طلب الزواج إلى أن وافقت (هدى) التي أحبت (طارق) وكانت نعم الزوجة. تهتم به وتراعي مشاعره، وتحترم وجوده في البيت.

هل كانت (ليلو) تستحق هذة الخيانة؟ هل كانت (ليلو) سيئة لهذة الدرجة؟! هل اهتمام المرأة بجمالها خطيئة يعاقبها عليها زوجها بالخيانة؟! ماذا عن الزوجات اللاتي يفنين حياتهن في خدمة أزواجهن وأولادهن؟ إن أزواجهن يخونهن بحجة أن المرأة لا تهتم بنفسها.

إن الرجل عندما يخون، لا يكتفي بخيانته ولكنه أيضاً يشوه سمعة زوجته، ليجد لنفسه مبررا للخيانة.. إن الرجل الذي يخون زوجته، يخونها لأنه يريد أن يخونها.

كل هذة أسئلة ظلت (ليلو) تسألها لنفسها بعد خروجها من عند (طارق) مكسورةَ الخاطر، منكَّسة رأسها.

إنها لا تملك إلا أن ترضى بالأمر الواقع الذي فرضه عليها القدر، هي لا تعمل وليس لها أي مصدر رزق، حتى لو كانت تعمل، فإن ما تنفقه (ليلو) لن يكفيه أي عمل.

أصاب (ليلو) حالة شديدة من الاكتئاب وفقدان الثقة في النفس، عوضتها بالاهتمام بنفسها أكثر، والذهاب إلى مراكز التجميل، ولجأت إلى عمليات التجميل التي غيرت ملامحها الجميلة، وبالغت في ملابسها التي تظهر أنوثتها، وبالغت في وضع مساحيق التجميل.

أهملت (ليلو) في رعايةِ أبنائها كما اعتادت، ولكن (طارق) غير متواجد ليعتني بهم.. فتعب الأولاد كثيراً واشتكوا لأبيهم إهمال أمهم مما أثار حفيظته أكثر ضد (ليلو).

في يوم من الايام، أثناء عودة (ليلو) إلى بيتها، وجدت (طارق) مع الأولاد، دخلت إلى غرفتها وتركته فإذ بها يناديها:

- (ليلو)... تعالي عايز اتكلم معاكي شوية.

خرجت (ليلو) وهي تزفر وقالت:

- خير!.. اتجوزت واحدة تالتة وعاوز تبلغني قبل ما اقفشك؟!

- أستغفر الله العظيم يا رب... اقعدي يا (ليلو) علشان نتكلم وبلاش طريقتك المستفزة دي.

جلست (ليلو) ونظرت إليه وهي تتمنى أن يسرع من حديثه، فهي لم تعد تطيقه ولولا ما ينفقه ما كانت أكملت معه حياتها، وقالت:

- اتفضل... أنا سمعاك.

قال (طارق):

- بصي يا (ليلو) أدامك اختيارين... الأول إنك تخلي الأولاد معاكي وملكيش عندي إلا مصاريفهم من الإبرة للصاروخ، والتاني انك تسيبيلي الأولاد ومصاريفك حتفضل زيّ ما هي.

ذهلت (ليلو) مما سمعت، فلم يخطر ببالها أن يخيرها (طارق) بين أولادها وبين مصروفها.

صرخت (ليلو) بهستيريا:

- هي الحربايه بتاعتك ما كفهاش إنها تاخدك مني كمان عاوزه تاخد ولادي؟!

لم يعر (طارق) كلامها أي اهتمام، بل قال في حسم وبصوت جهور:

- (ليلو)... حديلك فرصة أسبوع تفكري وتردي علي.

لم يعطها (طارق) فرصة كي تتناقش معه إذ هم مسرعاً بالانصراف، وهو يعلم في قرارة نفسه أنها ستتنازل عن أولادها مقابل النقود.

نعم... كانت (ليلو) تحب نفسها، وكانت دائمةَ الخروج تاركه أولادها مع المربيات أو مع زوجها، ولكنها كانت تحب أولادَها جداً، ولا تتخيل الاستغناء عنهم، و أيضاً لا تتخيّل عدم تملكها النقود وأن تعيش مثل أي امرأة تعتني بأولادها وتطبخ لهم وتنظف.

لكن... أين أبناؤها؟ كيف لم يرفضوا العيش مع أبيهم؟! ماذا لو كانوا رفضوا العيش مع أبيهم؟ بالطبع لم يكن ليفكر في هذا الاختيار.

لم تستطع (ليلو) التفكير في أول الأمر ولم يتركها (طارق) لتحتار، فقد بدأ في خطته التي وضعها، وهي التخلص من الطباخ والخادمة والسائق.

حاولت (ليلو) الصمود لمدة يومين ولكنها فشلت تمامًا وإزدادت نوبات الغضب ضد أبنائها فهي تعتقد أنهم السبب.

لم يمض الأسبوع إلا وقد رفعت (ليلو) الراية وبعثت في طلب (طارق) للاتفاق.

****

عندما غمز (عامر) فهمت (ليلو) أنه يريد الانفراد بها، فابتسمت له في دلال وأشارت له بعينيها ففهم بأنها ستنتظره خارجَ القاعة بحيث لا يلحظهما أحد.. جاء (عامر) وهو يتفحص بعينيه جسدها بنَهَم، لاحظت (ليلو) أن آثار الخمر بدأت تظهر عليه.. وضع (عامر) يديه على خصرها وهو يضغط عليه قائلاً:

- أنا حجزت غرفتين في الفندق الليلة، اعملي حسابك النهارده على ليلة من ألف ليلة وليلة.

على الرغم من شوق (ليلو) لهذه الليلة بشدة إلا إنها ما زالت تقاوم بشدة الوقوع في الخطيئة، فهي لن تنجرف أبداً لأن تصبح رخيصة، يستمتع بها الأغنياء ثم يبصقونها ليستمتعوا بغيرها.

ضحكت (ليلو) ضحكة مثيرة زادت من نهمه وشوقه إليها:

- ما انت عارف يا (موري) بيه... مليش في الحرام.

قالتها وهي تداعب شعره بكلتا يديها مما زاد من حرارته وزاد سكْره من استنشاق رائحتها فضغط بشدة أكثر على خصرها وانتقلت أصابعه لنهديها أملاً في عصرهما، ولكن (ليلو) أمسكت بيديه وانزلتهما وقالت في دلال:

- قلت لك في الحلال.

زفر(عامر) وقال:

- يا حبيبتي... أنا مليش في الحلال.

بدت الجدية على وجة (ليلو) وقالت:

- براحتك.

أراد (عامر) أن يغير الموضوع وقال في لهجة آمره:

- (ليلو)... عاوزك بكرة تجهزي ملف الحسابات الخاصة بشركة (سامي) باشا.

أجابت (ليلو) وقد سعدت بتغيير الموضوع:

- حاضر يا مستر(عامر).

استغلت (ليلو) الفرصة لتستفسر عن الإعلامية الشهيرة المرافقة للسيد (سامي) وسألت:

- هو (سامي) باشا طلق مراته التانية ولا لسه على ذمته؟

أجاب (عامر) بسخافة واستهزاء:

- تفتكري يعني حسأل و أقوله... إنت طلقت مراتك التانية؟!

قاطعتة (ليلو) وهي تزفر:

- خلاص يا مستر(عامر) أنا آسفة حقك عليّ... بعد إذنك.

****

تذكرت (ليلو) اليوم الذي تم فيه الاتفاق بينها وبين (طارق).. حضر (طارق) إليها وتتطاير الفرحة من عينيه، استقبلته (ليلو) وفي عينها كسرة لم يرها من قبل، أشارت إليه (ليلو) بالجلوس قائلة:

- اتفضل يا (طارق).

جلس (طارق) وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

- ها إيه الأخبار؟! قررتي إيه؟

أجابت (ليلو) بانكسار:

- اللي تشوفة يا (طارق).. أنا فعلا مش قادرة أعيش كده.

وبدأت (ليلو) في البكاء، كان بكاءً صادقاً مما جعل (طارق) يشفق عليها ويتكلم معها بهدوء وحنان:

- بصي يا (ليلو)؛ تعالي نعترف بالحقيقة... إنت مش بتهتمي بالأولاد... أنا عارف إنك بتحبيهم جدا بس هم دلوقت عاوزين رعاية واهتمام... هم في سن خطرة... سن المراهقة... لازم حد يتابعهم ويصاحبهم... و إنت مش فاضية، على طول بره مع صاحباتك.

كانت (ليلو) تنصت بتركيزٍ مما جعل (طارق) يستطرد في ثقة وهدوء:

- أنا حاخد الولاد عندي، أنا بعرف أراعيهم وأهتم بيهم... وبيتي هو بيتك... إنتي لسه مر اتي... تيجي وقت ما تحبي... ولو مش عاوزة تشوفي (هدى) أجيب لك الولاد يباتوا معاكي في الوقت اللي إنت عايزاه لحد ما تزهقي يا ستي.

بدا على (ليلو) الاقتناع والهدوء، ولم يعطِها (طارق) فرصة للتفكير فاستطرد حديثه قائلاً:

- و إنت مر اتي يا (ليلو).. مصاريفك كلها عليّ كاملة مش حتنقص مليم... وأي حاجة تعوزيها... اطلبيها.

ساد صمت لمدة دقائق، كانت (ليلو) تفكر في كلام (طارق).. فكرت (ليلو).. يبدو أن عرض (طارق) مناسبٌ لها، فإن أولادها لن يكونوا بعيداً عنها وسوف تراهم كلما أرادت، وسيتكفل (طارق) بجميع مصاريفها وسيعيش الجميع سعداء، أما لو عاندت (ليلو) فإنها ستحرم من النقود.. وعلى الرغم من أنها تعلم أن (طارق) لن يتخلى عن مصاريف أولاده إلا أن (هدى) زوجته قد تثنيه عن الاهتمام بأولاده أو قد تحمل منه ويرزقهما الله أولادًا آخرين يلهيانه عن أولاده.

نظرت (ليلو) إلى (طارق) وقد زالت منها نظرة الانكسار وقالت:

- و أنا إيه اللي يضمني إنك تلتزم بمصاريفي بعد ما تاخد الأولاد؟!

أجاب (طارق) وقد بدا عليه الارتياح والسعادة:

- يا ستي تاهت ولقيناها... تحبي أكتب لك شيك بكم؟!

لمعت عينا (ليلو) وظهر منها بريق الفرحة وقالت:

- اكتب لي الشقة ومليون جنيه.

احتقر (طارق) في نفسه (ليلو) فهي طلبت ضمانًا للنقود ولم تطلب ضمانًا لرؤية أولادها... إنها بالفعل لا تهتم إلا بنفسها فهي تستحق ما سيفعله بها.

كتب (طارق) الشيك بمليون جنيه لزوجته (ليلو) وقدم لها ورقة التنازل عن الشقة، وطلب منها أن تجهز كل ما يخص أولاده من ملابس وألعاب وأدوات رياضية، بالفعل أعدت لهم (ليلو) أمتعتهم وهي سعيدة بالشيك ولم تكن تدري أنها المرة الأخيرة التي سترى فيها أبناءها.

****

دخلت (ليلو) القاعة بعد أن تركت مستر (عامر)، سارت (ليلو) وهي تتمايل على أنغام الموسيقى وتسير بخلاعة تلفت لها الأنظار، وإذ بها تلحظ (شريف) من بعيد ولاحظت وجود زوجته بجانبه، آثاروجود زوجته غيرتها الشديدة.

اتجهت إليهم (ليلو) وفي عينيها بريقُ الشر، لقد قررت أن تثير غيرة زوجته، سلمت على (شريف) في دلالٍ وقبلته كما كانت تقبل جميع زملائها على الرغم من علمها أن (شريف) لا يقبل زميلاته وتعمدت أن تلتصق به وتلصق نهديها به.

لاحظت (ليلو) أن زوجه (شريف) قد شعرت بالغيرة وأنها تنظر إلى ثوبها العاري الصدر بغيرة شديدة، ففتحت معه حديثا متصنعا عن العمل والزملاء ولم يعطها (شريف) فرصةً كافيةً لإطالة الحديث مما اضطرها لأن تستأذن وترحل، ولم تنسَ أن تحيي زوجه (طارق) لتتسنى لها الفرصة لرؤية ثوبها من الخلف.

****

ذهبت (ليلو) إلى حيث تجلس صديقتها (إسراء) التي رحبت بها قائلة:

- أهلاً يا هانم!.. رايحة جاية تكلمي ده وتسلمي على ده... وتيجيلي في الآخر.. ما هو أنا الإستبن.

ردت (ليلو) معاتبة:

- كده برضه يا (سيسو)؟! إنت مش عارفة غلاوتك عندي؟!

قالت (إسراء) وهي تربّتُ على كتف صديقتها:

- عارفة يا (ليلو)...أنا بس قلقانة عليكي... مش عاوزة حد يجيب سيرتك بالوحش و...

قاطعتها (ليلو) قائلة:

- يا بنتي... اللي عاوز يتكلم حيتكلم... هم بيعملوا بلاوي وغاويين يتكلموا على غيرهم. شايفين عيوب غيرهم ومش عاوزين يشوفوا عيوبهم... لو حنربط حياتنا بكلامهم.. مش حنروح ولا نيجي.

سألتها (إسراء) بجدية:

- مفيش أخبار عن أولادك؟! مش حينزلوا قريب؟!

ردت (ليلو) بحسرة:

- لا والله يا بنتي... من ساعة المخفي (طارق) ما هرب بهم ماشوفتهومش، بيكلموني باستمرار ومش عارفة حشوفهم امتى.

****

بعد أن ودعت (ليلو) أبناءها على وعد من (طارق) أن تلتقيهم بالنادي بعد أيام، استعادت (ليلو) الخادمة والسائق وكانت ليست بحاجة إلى الطباخ، فهي وحدها فلن تهتم بالطعام و أيضاً ترشيداً للنفقات.

ذهبت (ليلو) لمركز التجميل التي لم تذهبْ إليه اليومين السابقين و اتجهت بعدها لمواعدة صديقاتها في النادي، ظلت (ليلو) اليوم كله بالخارج ورجعت بيتها مساء ولم تنس بالطبع الاتصال بأولادها للاطمئنان عليهم.

حكى لها الأولاد عن كرمِ والدهم معهم وحسن معاملة زوجته، وسعادتهم بوجود عائلة، قد أثار حديثهم حفيظتها ولكنها لم تعلق.

في اليوم التالي، لم يكن مختلفاً عن اليوم السابق، فحياة (ليلو) لا تتغير ولا تتعدى ذهابها إلى مراكز التجميل والمولات والنادي أو الخروج مع صديقاتها

لأي مكانٍ داخل مصر. إلا أنها فوجئت في منتصف الليل بمكالمةٍ من دولة خارج مصر ولم تكن وقتها تعلم وجهتها، تعجبت (ليلو) وظنت أنها مكالمة خاطئة فلم ترد عليها.. إلا أن المتصل قد عاود الاتصال مرة أخرى مما اضطر (ليلو) أن ترد وإذ بها تفاجأ بصوت (طارق) يقول:

- مساء الخير يا (ليلو).. معلش شكلي صحيتك من النوم.

أعادت (ليلو) النظر إلى شاشة الموبايل، لتتأكد من الرقم الظاهر أمامها وقالت بتعجب:

- (طارق)؟! إيه ده؟! ده رقم خارجي... إنت فين؟!

أجاب (طارق) بصوت يشوبه الارتباك:

- أنا سافرت النهارده الصبح... بكلمك من برة.

قالت (ليلو) بكل سذاجة:

- ما قلتش يعني.. كنت تبلغني علشان أبعت السواق يجيب الأولاد يقعدوا معايا لحد ما ترجع بالسلامة.

قال (طارق) بعد لحظات من الصمت:

- (ليلو)... الأولاد معايا.

اعتدلت (ليلو) في جلستها وقالت وهي تصيح:

- أفندم؟! الأولاد معاك؟! يا سلام! تاخدهم تفسحهم بره مصر من غير ما تبلغني؟! بلاش يا سيدي احتراماً ليَ وعلشان ده من حقي.. قولي علشان أسلم عليهم... ولا حتى السلام مش من حقي؟!

سكت (طارق) ولم يعقب وساد الصمت عدة دقائق، لا يسمع إلا صوت أنفاس (ليلو) المتلاحقة، قطعت (ليلو) الصمت وقالت بعصبية:

- وحترجعوا إمتى ان شاء الله؟!

لم يرد (طارق) فقد ظل صامتًا، صاحت (ليلو):

- ما ترد يا ابني... راجعين امتى؟!

أجاب (طارق) في صوت مبحوح:

- يعني... حنتأخر شوية.

زفرت (ليلو) وقالت:

- حتتأخروا أد إيه؟ إسبوعين يعني؟!

أجاب (طارق) وكانت إجابته كالصاعقة التي أصابت (ليلو) بالجنون، قال بتحد:

- أنا اشتغلت بره ونقلنا كلنا و...

صرخت (ليلو) كالمجنونة وكانت قد وقفت وألقت بكوب الماء الذي بجانبها وقالت:

- بتقول إيه؟! أخدت الولاد وإيه؟! اشتغلت برة؟! يعني خطفت ولادي وهربت؟! كنت بتضحك عليّا...ضحكت عليّا يا (طارق)... خدعتني... يا غشاش..منك لله ربنا ينتقم منك... ربنا ينتقم منك.

أغلقت (ليلو) الخط في وجهه وهي في حالة سيئة جداً، لم تكن تتوقع من (طارق) أن يخدعها كل هذا الخداع، لقد خانها وتزوج وأخذ أبناءها وهرب بهم... ما كل هذا؟! ماذا فعلت؟! إنها لم تسئ إليه قط؟

لم يكن لـ(ليلو) صديقة مقربة، إنها وحيدة، إنها تريدُ أن تتكلم وأن تفضفض، إنها تريد أن تصرخ بأعلى صوت... لمن تشكو؟!

تذكرت فجأه (ليلو) صديقتها السابقة (أميرة)، ترى... ألا تزال تحتفظ برقمها القديم؟!

بحثت (ليلو) عن رقم (أميرة) في جميع هواتفها المحمولة، حمدتْ الله أنها لم تتخلص منه كما تخلصت من جميع أرقام صديقاتها القدامى، وجدت (ليلو) الرقم أخيراً في هاتفها القديم التي كانت تركته لأولادها وهم صغار ليلعبوا به.

الست نكدية

كان ضوء الشمس قد بدأ في الظهور وسمعت (أميرة) أذان الفجر، فقامت من نومها لتتوضأ وتصلي، وبعد أن أنهت صلاتها جلست على سجادة الصلاة تدعو الله أن يصلح أحوالها ويهدي زوجها وأولادها، وإذ بجرس هاتفها يرنّ، تعجبت (أميرة) وأسرعت إلى الهاتف لترى من المتصل، تعجبت عندما وجدت اسم (ليلو) على شاشة الهاتف، فهي ما زالت تحتفظ برقمها إلى الآن.

****

كانت (أميرة) بالفعل كانت وما تزال تحب (ليلو)، إن (ليلو) صديقة الطفولة بالإضافة إلى أن (أميرة) كانت مشفقةً عليها مما فعله أبوها. كانت تعلم أن (ليلو) تحب (عصام) وكان هو كل أملها في الحياة، كانت تعلم أن (ليلو) طيبة القلب على الرغم من أنها كانت تبدو مغرورة وكانت حسنة الخلق على الرغم من أنها كانت تبدو متحرّرة، ولكنها كانت جميلةً وصغيرةً في السن وتسكن حيا شعبيا ليس للناس هناك عمل إلا النظر للآخرين بميكرسكوب مجهري.

حزنت (أميرة) جداً عندما رفض والدها خطبة (عصام) و(ليلو)، وحاولت إقناعه كثيراً ورفض وتشاجر معها لدرجة أنه ضربها، فقد كان لا يريد أن تساعد (أميرة) أخاها في التمسك بهذه الورطة السوداء كما كان يصفها. اضطرتْ (أميرة) للإذعان لأبيها كما أذعن أيضاً (عصام) بعد تهديد الأب بتطليق أمهم وترك المنزل.. وأمر الشيخ ابنته بمقاطعة (ليلو) واضطرت أن تو افق ولكن ظلت علاقتها بـ(ليلو) قائمة على فترات متباعدة للاطمئنان عليها.

كان (عصام) حزينًا للغاية، أصابته حالة من الإحباط وقرَّرَ أن يسافر، وقدَّم في العديد من الجامعات بالخارج حتى و افقت جامعة شهيرة في ألمانيا على تقديم منحةٍ له للدراسة فيها.. سافر (عصام) وترك (أميرة) وحيدة، لم يعد لها أخ ولا صديقة.

بعد سفر (عصام)، ظهر (سامي) في حياتهم كصديق لوالدها.. كان مر افقًا دائماً للشيخ (سالم)، يذهبان معاً إلى المسجد ليصليا الفرض حاضراً، وكان يذهب مع الشيخ إلى الأطباء فاتخذه الشيخ أخاً صغيراً.

أصبح وجود (سامي) في منزل (أميرة) أمرًا معتادًا، فوجئت (أميرة) بأبيها يعلن لها أن (سامي) قد تقدم لخطبتها و أنه و افق على خطبتها دون أخذ رأيها، رفضت (أميرة) بشدة فهو يكبرها بحوالى خمسة عشر عاماً بالإضافة إلى أنها لا ترتاح لنظر اته التي لا تناسب إنسانًا متدينًا كما يدعي.

لم يكن الشيخ يسأل ابنته كي ينتظر منها إجابة، عندما رفضت ما كان منه إلا أن صفعها على وجهها صفعةً أسقطتها أرضاً، وانهارت الأم خوفاً من المشاكل، مما اضطر (أميرة) للإذعان لأوامر الأب وتمت الخطبة، وبعد أقل من شهر أصدر إليها الأب أمراً بأن تجهز نفسها لكتب الكتاب، حاولت الاستعانة بأخيها (عصام) الذي لم يجد لها أي حلول، اضطرت (أميرة) للإذعان لأوامر أبيها كالعادة.

وكتب الكتاب، وتم تحديد ميعاد الفرح بعد شهر.

تزوجت (ميرة) ولم تكن أول ليلة إلا أسوأ ليلة مرت عليها، لقد كان (سامي) جاف المشاعر عنيفًا معها، لم يراعِ صغر سنها فقد كانت في السابعة عشرة من عمرها، لا يوجد عندها أي ثقافة أو علم عن العلاقة بين الرجل والمرأة فهي

كانت خجولة جداً، لدرجة أنها كانت لا تشارك صديقاتها في الحوار إذا شعرت بوجود أي تجاوزات في الحوار.

اعتادت (أميرة) على جفاء (سامي) في العلاقة الشخصية وتنازلت عن حقها المشروعِ في المتعة، لكن(سامي) كان فظًّا غليظَ القلب، كان دائم الانتقاد لها ولا يناديها باسمها بل كان يدعيها: "يا وِلِيّة"!

إذا صبح الصبح عليه يقول:

- حضريلي الفطاريا وليّة.

وكان عندما يأكل يذم في الطعام ويقول:

- يادي القرف، جتك الأرف أكلك علّك.

كانت عندما تغضب (أميرة) تنزوي جانباً ولا ترد عليه، فما يكون منه إلا أن يقول ساخطاً:

- يا دي النكد... يخربيت بوزك ع الصبح وع المسا وعلى سنينك السودة.

أطلق عليها (سامي) لقب "الولية النكدية".

لم تكن (أميرة) سعيدةً في حياتها ولكنها لم يكن لديها أي اختيار آخر فهي تعلم أن والدها لن يرضى بأي انفصال أو طلاق، حتى أنه عندما اشتكت إليه أول الزواج، هدّدها أنها إذا طلقها (سامي) فلن يستضيفها في بيته.

عاشت (أميرة) كما تعيش معظم الزوجات لأجل أولادها.. فقد رزقها الله بثلاثة أطفال أحبتهم بشدة، واهتمت بهم وكانت أيضاً زوجةً وفيةً لزوجها على الرغم من قسوته وجفائه، كانت أمينة على ماله وعرضه وكانت لا تجادله ولا تعاتبه وكان هو ينفق على بيته جيداً، ولكنه لم يكن متواجدًا دائماً في البيت، وغيابه المتكرر كان لا يؤرق حياتها، بالعكس كانت أوقات غيابه تعتبر أسعد أوقاتها التي تقضيها مع أولادها.

****

نجح (سامي) في تجارته نجاحاً شديداً وذاع صيته في المدينة كلها وأصبح يمتلك أكبر سلسلة سوبر ماركت، ولم يكتف (سامي) بالتجارة بل اتجه إلى الصناعة فافتتح مصنعَ أغذية وتوسع أكثر فافتتح مصنعًا للمنسوجات ويليه الأثاث، كان الجميع يخمن عن مصادر أمواله، البعض ذكر أنها من تجارة المخدرات والبعض توقع أنها من بيع الآثار، والقليل الذين توقعوا أنها شطارة.

كانت (أميرة) عندما تراة لا تقصُّ عليه ما تسمع، فهي تعلم أنه لن يرد عليها ولن يعيرها أي اهتمام، هو فقط يريد منها خدمتَه وآخر اليوم يريد اللقاء اليومي الذي أصبحت تكرهه بشدة لأنه كان يطلب منها ما لا تستطيع عمله.. فقد كان يطلب منها أن ترتدي بدلة الرقص وأن تجهز له الشيشة في حجرة نومهما ليدخن الحشيش وترقص له.. هي كانت لا تستطيع الرقص فهي كانت دائما خجولة،عندما ترقص البنات كانت تخجل وترفض الرقص كان يسبها (سامي) عندما ترفض الرقص ويقول:

- ما تعرفيش ترقصي ليه ياختي... هو أنا متجوز دكر؟!

كان يهينها (سامي) بشدة ولا يراعي مشاعرها، وكان يطلب منها طلبات أخرى لا تستطيع القيام بها فكانت تقيم العلاقة وهي كارهة.

****

ذات يوم تفاجأت (أميرة) بزوجها يبلغها أنه سيتزوج، وأنه يخيرها بين أن توافق أو أن تذهب إلى بيت أهلها.. لم تغضب (أميرة) كثيراً فقد شعرت أنها تخلصت منه بدون طلاق وأنه سينفق عليها وعلى أولاده طالما ما زالت على ذمته.

ارتضت (أميرة) الأمر الواقع وعاشت مع أولادها في هدوء بعد أن تباعدت زيارات (سامي) للبيت.

عندما رأت (أميرة) اسم (ليلو) على الهاتف قالت في نفسها:

- (ليلو)؟! خير... يا ترى فيه إيه؟!

فتحت الهاتف وبمجرد أن قالت:

- ألو...".

فإذ بها تسمع بكاءً هستيريٍ عبر الهاتف، إنه صوت (ليلو) وهي تبكي، لقد تعرفت عليه (أميرة)، فما زالت تتذكر طريقة ضحكها وبكائها.

قالت (أميرة) في جزع:

- (ليلو).. حبيبتي.. ما لك؟! فيه إيه؟! إيه اللي أصابك؟!

لم ترد (ليلو)، بل ظلت ممسكة بالهاتف وتبكي بكاءً هستيريًّا، عرفت (أميرة) أن (ليلو) لن تتكلم الآن ففضلت الصمت وترك (ليلو) تفرغ ما بداخلها من بكاء. ظلت (ليلو) تبكي بدون كلام عدة دقائق حتى هدأت قليلاً وخرج منها الكلام محشرجاً وهي تقول:

- صباح الخير يا (أميرة) ... أنا آسفة إنى بكلمك بدري كده.

قالت (أميرة) بصدق:

- لا أبداً يا (ليلو) إنت تتصلي في أي وقت... أنا كنت صاحية بصلي الفجر... سيبك مني... طمنيني إنت مالك؟! قلقتيني عليكي جدا... خير؟!

قالت (ليلو) وهي منهارة:

- مش قادرة يا (أميرة) .. أنا عاوزة أموت... مش قادرة أعيش أكتر من كده.

قالت (أميرة) في الحال:

- لا إله إلا الله.. يا بنتي.. استهدي بالله واحكيلي... فيه إيه؟!

قالت (ليلو):

- أنا عاوزة أشوفك يا (أميرة)... ينفع؟ ولا حاسبب لك مشاكل مع جوزك؟

قالت (أميرة) باستهزاء:

- جوزي؟! جوزي مين يا بنتي؟!

واستطردت قائلة وقد خطر ببالها فكرة:

- (ليلو)... ما تيجيلي دلوقت.

ردت (ليلو) وقد أعجبتها الفكرة، ولكن لم ترد أن تظهر إعجابها بالفكرة تحرجاً منها:

- بدري كده؟! ألا جوزك يضايق؟!

قالت (أميرة) وقد ارتاحت جداً للفكرة:

- لا تعالي.. جوزي مش موجود.

فرحت جدا كلتاهما، فكلتاهما تحملان هموماً ولا تجدان أحدًا مقربا لهما للإفصاح بها.. أعطت (أميرة) عنوان بيتها لصديقتها (ليلو).

بمجرد أن أغلقت (ليلو) الهاتف، ارتدت (ليلو) ملابس خفيفة.. مكونة من قميص أبيض كتان مع بنطلون جينز أزرق، وحذاء رياضي وعَقَصَتْ شعرها للخلف، لأول مرة لا تضع المساحيق على وجهها، لأول مرة ترتدي (ليلو) ملابس بسيطة ولكنها أنيقة جداً، فهي دائماً ترتدي ملابس مثيرة تظهر جمالها.

أسرعت (ليلو) بالذهاب إلى حيث وصفت لها (أميرة)، بالفعل وصلت (ليلو) ودخلت المبنى.

كان مدخل المبنى أنيقًا للغاية، كان من الرخام الفاخر جداً ويتوسط السقف نجفة كبيرة تبدو باهظة الثمن، ويوجد بجانب باب المبنى مكتبٌ أنيق من الخشب الزان ويجلس أمامه شاب مفتول العضلات وهو فرد الأمن، تركت (ليلو) بياناتها وركبت المصعد لمنزل صديقتها.

كانت (أميرة) تنتظر صديقتها بشوق شديدٍ، وبمجرد أن طرق جرس الباب، جرت (أميرة) لتفتح الباب ووجدت (ليلو) التي لما رأتها ارتمت في حضنها ودخلت في بكاء العمر.

احتضنت (أميرة) صديقتها بشدة وبكتْ.. هي أيضاً لم تكن تدري، أتبكي حزناً على (ليلو) أم تبكي حزناً على نفسها، وظلت الصديقتان تبكيان وهما تحتضنان بعضهما عدة دقائق أمام الباب..

انتبهت (أميرة) أنهما ما زالتا عند الباب فربَّتَتْ على كتف صديقتها لتدخل، دخلت (ليلو) وهي تقول:

- أسفة يا (أميرة)... أنا دربكت لك يومك... وكمان لسه ما سلمتش عليك ونكدت عليكي على الصبح.

قالت (أميرة) معاتبة:

- كده برضه يا حبيبتي... إنت مش عارفة غلاوتك عندي... إنت النهار ده حتقضي اليوم كله معايا.

ابتسمت (ليلو) ابتسامةً صادقة وقالت:

- الله عليكي يا (أميرة) لسة زي ما إنت ما تغيرتيش.

ضحكت (أميرة) وقالت:

- أما إنت بقى بقيتي شبه ممثلين السنيما... إيه الحلاوة دي يا بت... تعالي بقى نحكي مع بعض.

قصت (ليلو) كل مشوار حياتها لصديقتها، من بداية زواجها إلى خطف أبنائها، وكانت أحياناً تضحك بسخرية من نفسها وأحياناً تبكي بحرقة، كانت (أميرة) مستمعة جيدةً فلم تقاطعها وتركتها تفضّي ما بداخلها إلى أن قالت (ليلو):

- أنا عارفة انه سابني لأني مهملة بيتي وأولادي زي ما بيقول بس...

قاطعتها (أميرة) وهي تقول بحسرة:

- لا يا (ليلو) غيرك كان مهتم جداً ببيته وأولاده وبرضه اتسابوا.

فهمت (ليلو) أن صديقتها أيضاً تعاني مثلها فسألت صديقتها:

- شكلك زعلانة يا (أميرة)... إنت عندك مشكلة؟

ضحكت (أميرة) بسخرية وقد كانت من عادتها أن تحوّل حزنها لمادة خام للسخرية:

- قال ياختي الراجل عاوزني ألبس بدلة رقص وأرقص له ولما رفضت راح اتجوز عليّ... البيه المزاجانجي.

ضحكت (ليلو) بشدة لدرجة أنها سعلت، وضحكت (أميرة) لضحكها وقالت وهي تكركر:

- كده برضة يا (ليلو)... بتضحكي على اختك وصاحبتك؟!

أكملت (ليلو) ضحكها غير مبالية بكلام صديقتها إلى أن قالت بعد أن انتهت من الضحك:

- لا والله... أنا بضحك لإني كنت كل يوم برقص لجوزي.. اشي دولارات واشي استرليني... وفي الآخر قالي...

ووقفت لتقلده وهو يتكلم وقالت:

- أنا نفسي اشمّ ريحة الملوخية في البيت...

لم تتمالك (أميرة) نفسها من الضحك بمجرد أن سمعت كلمة "الملوخية"

قامت (ليلو) وقالت:

- قومي يا بت يا (أميرة) أعلمك الرقص.. ياما قلت لك تتعلمي الرقص و إنت رفضت.

قالت (أميرة) وهي ما تزال تضحك:

- و انا ياما قلت لك تتعلمي طشة الملوخية و انت رفضت.

ضحكت الصديقتان وقامت (ليلو) وفتحت الهاتف واستعدت للرقص وقالت بطريقة العوالم:

- يلا يا بتش... قومي هزي هزتين خلينا نولع القاعدة... هي هي هي (ضحكة عوالم)..

أجابتها (أميرة) وهي ترقص بطريقة تثير الضحك:

- حاضر يا أوختشي.

وعلا صوت الغناء، أغاني شعبية جداً، علتْ الضحكات على الهزّات، ونسيتا الآهات.

كان يومًا جميلا، نسيت فيه السيدتان همومهما، لقد دعت (أميرة) صديقتها (ليلو) للمبيت، واستجابت (ليلو) على الفور وارتدت جلبابًا خاصًا لصديقتها فبدا شكلها مضحكًا وقامت (ليلو) بتزيين صديقتها فكانت أيضًا مضحكة بملابس البيت التي ترتديها، وكان الأولاد فرحين جداً لفرح أمهم التي كانت دائمًا حزينة و أيضاً فرحين بهذه الضيفة الجميلة.. ونام الجميع فرحين متناسين همومهم، يستعدون ليوم جديد يتعايشون فيه مع همومهم.

****

استيقظت (ليلو) على صوت أطفالٍ يمرحون فتهيَّأَ لها أنهم أولادها، فقامت سريعاً من على سريرها وعندما أضاءت الكهرباء تذكرت أنها في بيت صديقتها، فشعرت بحزن شديد.. وخرجت من حجرتها لتجد (أميرة) بجلبابها الواسع وقد أعدت أشهى إفطار. رائحة الفول والطعمية أثارت في نفس (ليلو) جميع ذكرياتها وهي طفلة، مرعليها وقت طويل لم تذقْ هذا الإفطار الشهيّ.

تناولت (ليلو) الإفطار مع (أميرة) وأولادها وكانت سعيدة بالفعل.

استأذنت (ليلو) لتغادر وسلَّمت على صديقتها على وعد منها بزيارة ثانية وتعدد لقاءاتهم.

عندما غادرت (ليلو) كان في داخلها قرار بأن لا تكون مثل (أميرة) .

هي لن تقبل أن تنتظر زوجها ليعطف عليها ويأتي لزيارتها ليلقي إليها بالمصروف.. قررت (ليلو) أن تطلب الطلاق من (طارق) فهي من حقها أن تتزوج، ولكن يجب أن يكون لها مصدر دخل مادي لتستغني عن نقود (طارق).

أخبرت (ليلو) جميع صديقاتها عن رغبتها في العمل، وبالتأكيد جميع صديقاتها كنّ من طبقة زوجات رجال الأعمال فلم تمضِ أسابيع إلا وقد تعرفت على (عامر) صديق لزوج صديقتها.

كان (عامر) مديرًا لشركة انترناشيونال للدعاية والإعلان، وكان زيرَ نساء فعندما التقى (ليلو) انبهر بها وشعرت هي بانبهاره فتمادت في دلالها وظلت تتكلم معه، وتشغله حتى و افق على تعيينها سكرتيرته الخاصة.

بعدها تكلمت (ليلو) مع (طارق) وطلبت منه الطلاق بطريقةٍ وديةٍ وأن يضمن لها كل حقوقها، بالفعل و افق (طارق) فقد كان أهم ما يشغله هو أبناءه، فها هو قد حصل عليهم.. حصلت (ليلو) على الطلاق، وخصص لها (طارق) نفقة شهرية كبيرة.

قررت (ليلو) أن تعمل وأن تبحث عن زوج.

****

عندما سألت (إسراء) صديقتها (ليلو) عن أولادها، قلبت عليها الذكريات، إنها تشتاق لأبنائها و أيضاً هي تشتاقُ لرجل، إنها لا تحب أن تعيش كالراهبة.. إنها حزينة ولا تريد أن تظهر حزنها.

كانت (ليلو) تبكي بدون أن يشعر بها أحد إلا (إسراء) صديقتها، إنها الوحيدة التي تحبها وتعرف أنها ليست بالسوء الذي يصورة الناس.. لماذا يستاء منها الناس؟!

في أثناء سرحانها، غنى الباند أغنية (قلبي دليلي) للجميلة (ليلى مراد).. لم تشعر (ليلو) بنفسها وهي ترقص وحدها، تتلوى وتدور بخفة على أنغام الموسيقى، عيناها تقع على (عامر)، لقد سكر من شرب الخمر ويبحث عن من ير افقه الليلة في الغرفة التي قد قام بحجزها.. لا يجرؤ أحد أن يذكر أنه سكير ويتعامل معه الجميع باحترام.

ها هي ترى (سامي)، لقد تزوج للمرة الثالثة فإن (أميرة) أخبرتها أن زوجته الثانية شعبية جداً ولكن هذه من الأغنياء... ترى هل طلق الثانية بعد أن تزوج بالثالثة.. إنه ظلم (أميرة)... رفضها وحرمها من حقها في المتعة المشروعة... إنه يتزوج النساء لمتعته ومصالحه، فلماذا لا ينعته المجتمعُ كما ينعت من تتزوج الرجال لمتعتها؟! لماذا يحرم الرجال على المرأة البحث عن متعتها... بينما يتفاخرون بأنهم يبحثون عن المتعة؟!

تدور (ليلو) بخفة، ها هي ترى (طلال) الذي يأخذ أموال زوجته، لقد استولى على ميراثها من أبيها واشترى به منزلا كتبه باسمه.. فقد رفض أن يكتبه باسم زوجته لأنه رجل لا يعيش في منزل باسم زوجته!

لم ينعته المجتمع بالحرامي أو خاين الأمانة، بل و افق المجتمع و أيده لأنه "راجل.. وما يصحّش".

ظلت (ليلو) ترقص حتى مع اختلاف الأنغام، وتدور مع الموسيقى لتقع عينها على (شريف)... ها هي زوجته تحبه، إنها تحاول أن تشغله حتى لا ينظر إلي (ليلو)... إنه يشبه (عصام)... لو كانت تزوجت (عصام) لكان أحسن معاملتها مثل (شريف) مع زوجته، لكن يبدو أن (شريف) يشعر بالملل، إنها تعرفُ الرجال عندما يشعرون بالملل، إنه غير سعيد.

وترى (ليلو) تلك الفتاة التي دائما تنظر إلى (شريف)... يبدو أنها فتاة مريضة بحب (شريف).. هي لا تعرف اسمها ويبدو أيضاً أن لا أحد يعرف اسمها فهي غريبة الأطوار.

ظلت (ليلو) ترقصُ والجميع ينظر إليها بنهم والنساء ينظرن إليها بغيرة وحسدٍ، والجميع متفق أنها خطيئة كبرى. إنه مجتمع مريض، مجتمع ممتلئ بالعاهات التي تسبب الآهات.. وآهات تلو الآهات.. لم يعد المريض قادرًا على أن يداوي غيره بل على العكس، المريض يبحث عن علاج لآلامه حتى لو على حساب الآخر.. المريض لا يرى وجهه الشاحب ولكن يرى باقي الوجوه الشاحبة وأحياناً كثيرة يركز على مرضِ غيره ليثبت لنفسه أنه ليس مريضا.

قام الجميع للرقص، عندما تراهم تحسبهم أحبابًا ولكن أبت الوجوه إلا أن تظهر ما بالقلوب.. فها هو (شريف) يرقص مع زوجته، وهي تتكلم وهو لا يستمع إليها، وها هو (عامر) ير اقص إحداهن وينظر لأخرى، وها هو (سامي) ير اقص زوجته وهو يخطط للزوجة الر ابعة.

ظلت (ليلو) ترقص وهي تبكي بداخلها وأصابها الدوار وقال الناس عنها: إنها سكّيرة. وما هى بسكيرة.

قامت (إسراء) إلى صديقتها (ليلو) واحتضنتها بشدة وشدّتها برفقٍ من ذراعها لتجلسها، نظر إليها الجميع بسخرية وأكملوا رقصهم كأنهم ملائكة.

انتهى الحفل والجميع سعيدٌ إلا (ليلو) التي كرهت هذا المجتمع المريض، الذي ظلمها وحرمها من أحبابها بدون سبب إلا لأنها صادقة مع نفسها ومع الآخرين.

لو معاكي فلوس... خبيها!

أخذت (إسراء) صديقتها (ليلو) وطلبت من زوجها (طلال) أن يقوم بتوصيل (ليلو) بسيارتها، وأن تغادر هي بسيارتهم الخاصة.. لم يبدِ (طلال) أي اعتراض فهو كان من أشد الراغبين في (ليلو).

فإن (ليلو) بالنسبة له حلمٌ بعيدُ المنال، لا لشيء إلا لأنها ترفضه باستمرار وهو يعلم مدى حب (ليلو) لصديقتها (إسراء) وإخلاصها لها.

قاد (طلال) سيارة (ليلو) إلى منزلها وكان يعتقد أيضاً أنها سكّيرة، فهي كانت متعبة جداً وتحس بالدوار الشديد... قال (طلال) بلهجة بها لهفة وشوق:

- ألف سلامة عليكى يا (ليلو)... شكلك تقلتي كتير في الشرب.

نظرت إليه (ليلو) نظرة احتقار ولم ترد عليه مما جعله يتجرّأ ويقول عندما وصلا إلى البناية:

- يلا علشان أطلعك لفوق دي (إسراء) موصياني عليكي كتير.

رفضت (ليلو) وهي تخرج من السيارة وقد فهمت ما ينتويه وقالت:

- لا يا سيدي... شكرا.. أنا كويسة الحمد لله.

خرج (طلال) من السيارة متجهاً إليها وأمسك بيديها قائلاً:

- (ليلو)... أنا مش قادر.

قاطعته (ليلو) وهي تسحب يديها من بين يديه وقالت بعصبية:

- (طلال)... قلت لك ميت مرة بلاش القذارة بتاعتك دي... (إسراء) صاحبتي واستحاله أخونها.

قال (طلال) وهو ينظر للأعلى:

- طيب... نطلع فوق نتناقش.

قالت (ليلو) بعصبية شديدة:

- إنت فاكرني إيه؟! مفيش راجل يطلع بيتي أبداً... أحسن لك تمشي بدل ما أعلي صوتي و أفضحك.

سكت (طلال) وقد شعر بجدية (ليلو) التي أكملت حديثها:

- والله العظيم ده إنت ماتستحقش (إسراء)... اللي زيك ما يملاش عينه إلا التراب... يلا مع السلامة في ستين... سلامة.

طأطأ (طلال) رأسه في خزي وأعطى (ليلو) مفاتيح السيارة ورحل بدون أن يلقي السلام.

دخلت (ليلو) وهي تفكر في ما حدث من (طلال) هو يعلم بالتأكيد أنها لن تخبر صديقتها بما حدث، فهي تخاف أن تخسرها فإن المرأة مهما أحبت صديقتها، لو أحست أن زوجها معجبٌ بهذه الصديقة تدبّ الغيرة في قلبها وهي بداية لفقدانها.

****

إن (إسراء) كانت وما تزال صديقة (ليلو) الوحيدة، فعلى الرغم من أن (ليلو) استعادت علاقتها بصديقة الطفولة (أميرة) إلا أنهما كانتا متباعدتين تمامًا في الفكر، فإن (أميرة) كانت كما تلقبها (ليلو) "ستوتة".

كان كل أحاديثها عن البيت وإعداد الطعام والأولاد.. كان لقاؤهما متباعدًا وغالباً كانت (ليلو) هي من تقوم بزيارتها لأنها كانت لا تخرج من البيت.

أما (إسراء)... فمنذ التحاق (ليلو) بالعمل في مكتب السكرتارية الخاصة بمستر (عامر)، وهما في غرفة واحدة، إن (إسراء) امرأةٌ طيبة، صريحة لا تكذب، ولا تتتبع عيوب الآخرين.. أحبتها (ليلو) بشدة، ولأنها بهذة الصفات فلم

تنتبه إلى ما يقوله باقي الزملاء على (ليلو)، فهي وجدت أن (ليلو) أيضاً صادقة لا تكذب ولا تلقي بالاً للآخرين، فنشأت بينهما ألفة تحولت إلى صداقة.

في يوم من الأيام دخلت (ليلو) غرفة المكتب فوجدت (إسراء) تقوم بكتابة أرقام وحسابها، قالت (ليلو):

- بتحسبي إيه؟! هو المرتّب نزل بدري ولا إيه؟!

أجابت (إسراء) وهي تنظر في الورقة التي أمامها:

- مرتب إيه يا بنتي؟! يسمع من بؤك (ربنا)... دي دخلة مدارس.. بحسب المصاريف اللي عليّ.

قالت (ليلو):

- طيب ما ده دور (طلال).. إنت ما لك؟! إنت كمان حتحسبي له؟!

أجابت (إسراء) في سذاجة:

- لا ما هو إحنا متفقين إني ادفع فلوس المدارس.

تعجبت (ليلو) لأن (طلال) مرتبه في الشركة أعلى بكثيرٍ من مرتب زوجته، فهو في قسم التسويق حيث الحو افزوالمكافآت، سألتها (ليلو):

- طيب و إنتى مش حاسة بمشكلة؟! دي مدارس أولادك غالية جداً!

أجابتها (إسراء) وهي ما زالت مشغولة في الحسابات:

- مش أنا لازم أعوضهم غيابي من البيت!

قطَّبت (ليلو) حاجبيها وقالت:

- تعوضيهم؟! بس أنا و اثقة إنك مش منقصة بيتك حاجة.. ده إنت حتى أحسن من أي ست بيت.

ضحكت (إسراء) ونظرت إلى (ليلو) وقالت:

- والله يا بنتي... أنا شايلاهم شيل... بس (طلال) كل شوية يقولي إنت مقصرة... إنت مقصرة... فاتفقنا إني أشيل المدارس...دي قاطمة وسطي.

قالت (ليلو) وهي تبدي اعتراضها:

- بس إنت كدة مش بيتبقيلك حاجة... حرام عليكي نفسك...دة إحنا كلنا بنشتري إلا إنت حتى جوزك (طلال) بيلبس أشيك لبس وعايش حياته بالطول والعرض... لازم تهتمي بنفسك شوية... ما تزعليش مني يا (اسراء) إنت عارفة إنى بحبك... بس شكلك موظفة حكومة.

غضبت (إسراء) من صديقتها (ليلو) بشدة، وعندما شعرت (ليلو) بسخافتها اعتذرتْ وقامت لتقبلها.. لكن (إسراء) كانت بالفعل حزينة، ليس من (ليلو) ولكنها حزينةٌ من نفسها وزوجها.

كانت (إسراء) زوجة وأمًا حنونا، كانت تهتم بكل ما يخص زوجها وبيتها وأولادها، وكانت دائماً تحاسب نفسها عن أي تقصير وتعوزه إلى عملها مما يجعلها تزيد من عطائها للجميع.

فى بداية زواجها من (طلال)، كانا يعملان معاً في شركة واحدة، فاشترط عليها (طلال) على مناصفته نفقات المعيشة، لم تجادله ولم ترفضْ لأن إحساسها بأنها مقصرةٌ جعلها تحاول تعويض أي قصور.. رزقهم الله الأبناء فبدأ (طلال) يتهرب من واجباته شيئا فشيئًا، وكانت (إسراء) تتحمل أي تقصير حتى لا يشعر الأولاد بأي قصور في تلبية طلباتهم.

انتقلوا هما الاثنان إلى الشركة الانترناشيونال ذات المرتب المرتفع، توقعت (اسراء) أن يغير(طلال) نسبة المشاركة نظراً لارتفاع دخله، ولكنها فوجئت به يطالبها بتحمل تكاليف المدارس الخاصة بالأولاد.. كانت عندما تعترض وتظهر استياءها وعدم قدرتها على التحمل فيهدّدها بأن يجبرها على ترك العمل.

كانت (إسراء) تكن احترامًا شديدًا لـ(شريف) وكانت تحسد زوجته على أخلاقه وكرمه معها، وتتخيل لو أن (طلال) يعاملها كما يعامل (شريف) زوجته.

كانت (إسراء) تبدو متوسطةَ الجمال ليست أنيقةً ولا مهملة جداً، ولكنها بالطبع كانت أقل من زميلاتها من حيث المظهر.. أطلقوا عليها (بخيلة) لأنها كانت لا تتسوق ولا تشاركهم مناسباتهم، كانت تحزن وتطلب من (طلال) أن يساندها ويزيد من مساهمته في المشاركة المادية ولكنها تتفاجأ بالرفض وتفاجأ أيضاً به يشتري أفخر الثياب و أفخر السيارات ويهتم بلياقته وبنفسه جيداً.. زاد الطين بلة أنه استولى على ميراثها من أبيها بحجة أنه سيشتري لهما شقة أكبر فإذ به يكتبها باسمه.

عندما واجهته (إسراء) وقالت:

- أنا مش فاهمة إنت عملت كده ليه... المفروض الشقة تكتب باسمي أنا...إزاي تكتبها باسمك؟!

أجابها (طلال) والخبث يتطاير من عينيه:

- يا حبيبتي أنا و إنت واحد.

قالت (إسراء) بعفوية:

- طالما إحنا الاتنين واحد.. كتبتها بإسمك ليه؟

بمجرد أن أنهت (إسراء) سؤالها، انقلب (طلال) وبات يصرخ فيها قائلاً:

- أنا يا هانم راجل... ما اعيشي في بيت مكتوب بإسم الست الهانم و أنا أبقى جوز الهانم... لو مش عاجبك أكتبها باسمك.. بس وديني عمرنا ما حنعتبها.

استغل (طلال) رغبة (إسراء) في الارتقاء بالمعيشة، وظل يبتزها بالنقود مقابل مو افقته على تحسين مستوى المعيشة.

اعتادت (إسراء) على حياتها وكرّست نفسها لبيتها وأولادها، ولم تكترث كثيراً لما يفعله زوجها.

عاد (طلال) بعد أن أوصل (ليلو) وهو منكَّس الرأس، دخلَ بيته وأول ما وقعت عيناه على زوجته قال بتهكم:

- أديني يا ستي وصلت لك الهانم صاحبتك الخمورجية و...

قاطعته (إسراء) وقالت غاضبة:

- (ليلو) مش بتشرب يا (طلال)... وأظن إنت عارف كويس اللي بيشرب شكله إيه...!

نظر إليها (طلال) نظرة بها غضب شديد وقال بعصبية:

- قصدك إيه؟

خافت (إسراء) وتراجعت قليلا وقالت:

- قصدي إنت شوفت مستر (عامر) وهو بيسكر... يعني عارف السكير شكله إيه... بس (ليلو) مش بتشرب.

رد (طلال) باستهزاء:

- لا يا شيخة!... والرقص اللي كانت بترقصه ده... عادي عندك... والفستان اللي كانت لابساه... تلبسيه إنت؟ ولا عنها اللي ما اتشاليتش على (شريف) أفندي... أنا مش عارف عاجبها فيه إيه... ده بني آدم رخم.

قالت (إسراء):

- (شريف)...رخم؟! لا ده إنت كده عندك مشكلة مع الناس المحترمة.

صرخ فيها (طلال):

- تاني؟! قصدك إيه؟! ما تقولي اللي جواكي أحسن.

ردت (إسراء):

- مفيش حاجة جو ايا... شفت الستات كلهم لابسين النهارده حلو ازاي؟! أنا ما كنتش زيهم، المفروض كنت اشتريت لنفسي حاجة جديدة.

زفر (طلال) ونظر لها باستهزاء:

- وما جبتيش ليه؟! حد حايشك... ما إنت معاك مرتبك.

قالت (إسراء) بجدية:

- (طلال)... إحنا محتاجين نظبط مسؤولياتنا شوية.. ما ينفعش أدفع أنا كل حاجة كدة... ده حتى مش بيتبقالي أي مبلغ آخر الشهر علشان اشتري حتى جزمة.

رد (طلال) وهو يصرخ:

- تاني؟! تاني حنتكلم تاني في نفس الموضوع اللي اتهرس الكلام فيه...يا ستي لو مش عاجبك سيبي الشغل و أنا أصرف عليكي من الألف للياء زي اللي اسمه (شريف) ده.. بس بقى ما تجيش تقوليلي مدارس غالية وتمارين والذي منه، وبعدين اقولك حاجة...

نظر إليها بغلٍ شديد ثم قال:

- الست الحلوة... حلوة.. بأي حاجة تلبسها.

دمعت عينا (إسراء) وكادت أن تبكي وقالت:

- كده برضه؟! شكراً يا سيدي... ربنا يكرم أصلك.

رد (طلال) باستهزاء:

- حيسامحني يا ست الحاجة... كفاي اني مستحملك لغاية دلوقت.

أوقفت (إسراء) الحوار وفضلت الإنسحاب احتراماً لكرامتها، ففي كل مرة يحدث خلاف بينها وبين (طلال) فهو يتعمد إهانتها.. لا تعرف (إسراء) السبب ولكنها لا تفصح بغضبها منه لأنه ينعتها دائماً بالنكدية.

****

كانت (إسراء) تعلم أن زوجها يسعى وراء صديقتها، وكانت تعلم أيضاً أن (ليلو) تتصدى له بشدة ولهذا زاد حبها لصديقتها.. وزاد احترامها (لليلو) عندما لم تقص لها (ليلو) عما يفعله (طلال)... فصديقتها حريصة على الحفاظ على كرامة (إسراء)، لهذا وثقت (إسراء) بشدة في صديقتها (ليلو)، لكنها كانت دائماً تعترض على محاولة (ليلو) للفوز بحب (شريف). ذات مرة شاهدت (إسراء) صديقتها (ليلو) وهي تتكلم مع (شريف) بخلاعة، عاتبتها قائلة:

- (ليلو)... إنت عاوزة إيه من (شريف)؟! ده راجل متجوز وبيحب مراته وأولاده.

ردت (ليلو) بثقة:

- أنا معجبة بيه جداً... هو أنا مش من حقي إني أتجوز؟!

قالت (إسراء) بغضب شديد:

- و إنت ما لقيتيش غيرراجل متجوز... تخربي عليه ليه؟!

قالت (ليلو) وهي تعاتب (إسراء):

- بصي يا (إسراء)...الراجل لو عاوز يخون مراته حيبص لعيوبها ويطلعها شيطان رجيم، ولو عاوز يخلص لمراته، ولا مليون (ليلو) حتأثرفيه.

سكتت (إسراء) وقد بدأ عليها القلق والارتياح معاً ثم قالت بحزن:

- عندك حق يا (ليلو). الراجل فعلاً لو حب مراته... مش حيدي فرصة لواحدة تانية تشاغله.

دخلت (إسراء) حجرتها لتنام بعد أن اطمأنت على أولادها، لكنها كانت غاضبة جداً من (طلال)، فهي تعلم أنه رجع من عند (ليلو) بخيبة أمل، في الو اقع لم تعد (إسراء) تكترث كثيراً لما يفعله (طلال)، فهي شغلت وقتها كله بين العمل ورعاية أولادها حتى لا تترك لنفسها وقتا للجري وراء نزوات زوجها.

لم تعد (إسراء) تطيق الجلوس في البيت مع زوجها (طلال) فنامت وهي تقرر الذهاب إلى العمل في اليوم التالي، على الرغم من أنها استأذنت مستر(عامر) لتأخذ اليوم التالي الحفلة إجازة.

(مذكرات)

أحياناً يلجأ البعض إلى كتابه مذكراته ليفرغ ما بداخله من أحاسيس ومشاعر... إن الكتابة تفرغ ما في الصدور من هموم.

المذكرات تعبر عن صاحبها، فهو يكتبها بطريقته الخاصة، وبلغه وبكنته وبألفاظه الخاصة به، يكتب فيها ما لا يستطيع أن يبوح به لأقرب الناس إليه.

قد يموت الإنسان و تبقى مذكراته لتصبح وبالاً على من يقرأها من بعده، فهو يدرك مالم يكن يدركه قبل موت صاحب المذكرات.

فارس أحلامي

الخميس الخامس من مايو ٢٠١٦

أنا إسمي... مش مهم إسمي إيه؟.. أصل بقالي مدة محدش بيناديني بإسمي.. تقريباً ما حدش يعرفه، أصحابي في الشغل بينادوني بكل الأسماء إلا إسمي (يا جميل - يا سكر - يا عسل)... شوية شباب سُفيّفين كده وممكن تلاقي حد يقولي (يا مزّة) لو معجب بيّ... وده قليل قوي.. مش لا سمح الله لإني وحشة.. بس لإنهم أصغر مني أو أكبر مني بكتير.

المهم إن أحلى إسم بحبه هو (يا حبيبتي)... الله لما بينادي بيه!... الدنيا بترقص حواليّه وقلبي بيزغرد من الفرحة... طبعا عرفتم مين اللي بينادي (فارس أحلامي وحبيبي وحب العمر كله).

كان أول أسبوع ليّ في الشركة لما شوفته، و أنا قاعدة أدام جهاز الكمبيوتر بتاعي وبرفع راسي لقيته... معرفش ليه قلبي دق؟! معرفش ليه جسمي اترعش؟! معرفش هو مين؟! وما اعرفش حد في الشركة علشان أسأل عنه... هو مين؟! مش مهم... فعلاً انا لقيت انه مش مهم هو مين.. المهم إني حبيته.. لأ أنا عشقته.

الثلاثاء اليوم الرابع من شهر يونيو

النهار ده... أنا إجازة.يز إنتم عارفين أنا ما روحتش الشغل النهار ده ليه؟! أصل حبيبي كان إجازة يومين، بيجيلي اكتئاب لو هو مش موجود، طبعاً حتعوجوا شفايفكم وتتخنقوا وتقولوا: (يا سلام!)، حاقولكم: لو شفتوه وعرفتوه حتعملوا زيّ، حبيبي ده مش حاقول عليه غير كلمة واحدة (رااجل) و اتخيلوا إنتم وقولوا اللي عاوزين تقولوه... عاوزين تقولوا وسيم حاقول لكم (أه).. عاوزين تقولوا قوي شجاع صادق جدع كل حاجة حاقول أه..أه.. أه..وأهم صفة فيه مش حتلاقيها في أي راجل دلوقت هي الوفاااااااااااااااااء، حبيبي وفي جداً لمراته، ومخلص، عمره ما خان مراته ولا حتى بنظرة، ولا حتى علشان البنت اللي بيحبها (طبعا عرفتم هي مين البنت اللي بيحبها) يارب تكون أنا.. على العموم هي أنا.. في أحلامي.. مش باقولكم فارس أحلامي.

****

كل يوم أحلم بيه معايا، أصحى من النوم وهو جانبي... نفطر مع بعض ونروح الشغل مع بعض ونروح مع بعض لبيتنا الجميل... لحد ما أشوف مراته، أعرف إن ده كله خيال وأحلام... وإن الواقع إنه بيموت في مراته، ولا يمكن يفكر في واحدة تانية... مش باقولكم أحلى صفة فيه هي الوفاء.

أنا قررت إني أعيش الحلم وأصدقه، بس تخيلوا.. خيالي رفض أنه يصدق إن حبيبي خاين... حتى لو لعدوتي اللدودة اللي هي مراته... فتخيلت أنه بيحبني ومش عاوز يظهر حبه حتى ليّ علشان ما يظلمنيش معاه ويحترم مشاعر مراته... ما هو فعلاً الفارس!

واكتفيت بخيالي وأحلامي... وكانوا هم دول أصحابي في وحدتي ومتعتي الوحيدة في دنيتي.

وكان وجودي جانبه في الحقيقة يشبعني... ووجوده معايا في أحلامي يمتعني...

وعشت سعيدة بوحدتي في الوقت اللي الوحدة تقتل أي بنت.. واكتفيت بمذكراتي اللي بكتبها لكم... إنتم أسرتي وأهلي.

تحبوا أحكيلكم عني أنا وحبيبي... حاقولكم...

الخميس السادس من يونيو

الساعة سبعة الصبح، دق جرس المنبة على أغنية (فارس أحلامي) للجميلة (شادية)... أغنيتي المفضلة... وأصحى من النوم سعيدة طبعاً.. يوم جديد مع حبيبي حأشوفه وأكلمه في كل دقيقة.. أنزل من بيتي منتظرة عربية الشغل وأشوفه من بعيد (نسيت أقولكم إن هو جاري كمان) و اقف مع مراته وولاده بيودعهم.

ياااااااه على رقته مع مراته وحنيته مع أولاده، بيودعهم كإنه حيسافر مدة طويلة وهي بتبص له كأنه فارس... طبعا ما هو فعلاً فارس.

أهو بيقرب... أهوو بيبص لي وعاوز يقولي: "صباح الخير"، بس مش عارف علشان مراته ما تاخدش بالها، ويوصل الأتوبيس وأركب... ويركب ورايا، وأنا عارفة إن عينه مش حتتشال من عليّ... وأقعد... وأخيراً قعد جانبي.

وبص لي بكل حب وحنان وقالي:

- صباح الخير.

رديت و أنا في منتهى السعادة:

- صباح النور.

وطى صوته وقالي:

- وحشتيني.

رديت عليه و أنا مكسوفة جداً:

- و إنت كمان.

سألني وهو مستغرب:

- ما جتيش ليه اليومين اللي فاتوا؟!

جاوبت و أنا فرحانة لأنه أكيد سأل عليّ:

- أصلي كنت تعبانة شوية.

- أنا كمان كنت تعبان وما جتش، الشغل وحشني جدا.

طبعاً قصده إن أنا اللي وحشته... وفضلنا نتكلم طول الوقت أحلى كلام وأرق كلام.. ونظراته عاوزة تقولي: (بحبك)... بس لسانه مش قادر ينطقها... وفضلت بصّاله مدة لغاية ما لقيت إيد على كتفي وسمعت صوت بيقولي:

- ممكن أقعد جانبك؟

و أفوق وألاقي الواد (كيمو) بيشاور على الكرسي الفاضي اللي جانبي، وعاوز يقعد جانبي. هاهاهاااااااا مش باقولكم حياتي كلها أحلام وخيال، حبيبي طبعاً مش واخد باله مني وقاعد أدام بعيد عني.. تحبوا تعرفوا بنعمل إيه في الشغل؟ حاقولكم.

حياتي في الشغل حياة عملية كلها نشاط وهمة وحيوية، وكلام وطلبات، صداااع لغاية ما ينتهي اليوم، بس أنا دايماً مع حبيبي.. مش بحس بأيّ تعب

بالعكس الشغل بالنسبة لي هو الحياة... هو الأمل.. أمل إني حروح مع حبيبي لبيتنا سوا... وبيجي ميعاد الخروج.. والكل يركب عربية الشغل، وبرضه حبيبي ركب جانبي زيّ الصبح وودعني بعنيه، وقابل مراته في الشارع وسلم عليها كأنه لسه راجع من السفر بكل شوق وحنين.

أروح بيتي وهو معايا في أحلامي نكمل حياتنا وكلامنا... أنا بسأله نطبخ إيه؟!

وهو بيحب يساعدني جداً في المطبخ... مش بيسيبني.. بيخاف إني أتعب... بالليل بنشرب الشاي ونقعد مع بعض نتسامر ونجيب سيرة الشغل وأحكيله على المكالمات اللي جاتلي النهار ده وهو بيحكيلي عن زمايله... وينتهي اليوم وندخل ننام... بصراحي هو بيشيلني للسرير... أصلي بكون تعبانة... أصل هو حنين قوي ولسانه حلو... تخيلوا لازم ياخدني في حضنه وإحنا نايمين...

شفتم إزاي يومي جميل وسعيد؟! عمري ما حسيت بالوحدة ولا الاكتئاب، صحيح الإنسان من غير حلم ما يقدرش يعيش.

السبت العاشر من أغسطس

النهار ده قررت الشركة تقيم حفلة توديع لأحد موظفيها.. المحال على المعاش وتكريم بعض الموظفين، ودّعت كل الموظفين بزوجاتهم وأزواجهم، طبعاً فرحت جداً دي كانت أول مرة أقابل حبيبي خارج العمل... ورحت للكوافير واشتريت أحلى فستان سهرة، فستان أحمر طويل كله مطرز، مقفول من الظهر والكمام بس الديكولتيه بتاعه واسع شوية، وكنت عروسة أجمل عروسة.

وفعلاً جات اللحظة ودخلت من الباب لقيته بيبص لي وقرّب مني وقال:

- واو... إيه الجمال ده؟!

ابتسمت في كسوف وقلت:

- ميرسي. (أخيراً أخدت بالك مني.. في سري طبعاً).

بص لي بصة عمري ما حنساها... حسسني إني ملكة.. وقالي:

- ما كنتش أتخيل إنك جميلة كده... أصل إنتي جد جداً في الشغل.

فرحت بجد... أخيراً نطق واتكلم... ورديت وعيني في الأرض من كتر الكسوف:

- وانت برضه... وسيم جداً.. بس أنا كنت عارفة من زمان. وفضلنا نبص لبعض لفترة قطعها صوت المدير:

- اتفضلي يا آنسة... أهلا وسهلاً.

أفوجئ إني عند باب الدخول لسه... وحبيبي واقف بعيد مع زوجته بيبص لها بكل إعجاب وبيقولها:

- واو إيه الجمال ده؟!

طبعا فوجئتم زيي بالظبط، وهو إنتم لسه شفتم حاجة؟! ده إنتم حتعيشوا معايا أحلى خيال.

المهم دخلت وسلّمت على باقي الزملاء وقعدنا على ترابيزة كبيرة وبدأت الحفلة بكلمة من المدير ويليها كلمة من المدير المالي اللي هو فارس أحلامي (شريف).

ياسلاااااام.. لو شفتوه وهو بيتكلم... لبق جداً، وسيم في منتهى الأناقة ودايماً مبتسم.

ويبدأ الحفل الراقص وكل واحد يرقص مع مراته... وأنا اكتفيت بالفرجة على حبيبي وهو بيرقص مع مراته وفجأة...

يوشوش حبيبي مراته وتبص لي وتحرك رأسها بالموافقة ويقرب (شريف) مادد إيده و... طلبني للرقص...

إيه ده!.. معقول!.. أنا مش مصدقة نفسي، استأذن من مراته علشان يرقص معايا؟! بتقولوا ايه؟ شفقة؟! وما له شفقة شفقة.. هو أنا طايلة.. عارفين قالي ايه؟! قالي بكل شياكة:

- ممكن ارقص معاك؟

اضطربت شوية وبصيت على مراته وقلت له:

- اه طبعا... بس المدام؟!

قالي وهو بيبتسم:

- معندهاش مانع... هي عارفة ان احنا زمايل.

بدأت ادوب و افقد التركيز وقلت:

- بس أنا مش بعرف ارقص.

- أعلمك.

وقمت طبعاً على طول قبل ما يغير رأيه وكنت خايفة جداً، خايفة

أنه يزهق، خايفة من مراته تاخد بالها من نظراتي إني بحبه، خايفة من الناس يضحكوا عليّ، خايفة من كل حاجة.

وأول ما بدأنا الرقص نسيت الدنيا، نسيت الناس، نسيت مراته، مفيش حد في الحفلة إلا أنا وهو... ورقصت ورقصت... وإيدى في إيده... ودارت بيّ الدنيا مش شايفة إلا عنيه... مش حاسة إلا بلمسة إديه... مش سامعة إلا صوت نفسه... مش شامة إلا ريحته.

إيه ده؟! هو الرقص جميل كده؟! هو أنا خفيفة كده؟! هى الدنيا جميلة كده؟! أد ايه هو رقيق!

- تسمحيلى بالرقصة ديه؟!

ايه ده؟ هو فيه ايه؟ هو أنا مش بارقص؟ هو فيه حد معانا؟ مين اللي اتجرأ ياخدني من حبيبي؟

و أبص على اللي بيتكلم ألاقيه "كيمو" تاني، هو مفيش غيرك يا بارد؟ هو انت مش شايفني بارقص مع حبيبي؟! طيب أنا حاخليه يقطعك حتت.. و أبص حواليّ ألاقي حبيبي بيرقص مع مراته، و أنا لسه قاعدة في نفس المكان ما اتحركتش من مكاني، الله ينتقم منك يا "كيمو" زي ما انت بتخرجني من خيالي.

رديت و أنا متغاظة:

- لا يا سيدي، مش عاوزة ارقص.

- إنت حرة، إنت بس صعبت عليّ.

اتخنقتْ الصراحة منه ونفخت: "أف"!

و انتهت الحفلة و أنا مستمتعة جداً لإني كنت مع (شريف) حبيبي... فارس أحلامي.

الأربعاء اليوم العشرين شهر أكتوبر

كل يوم بيعدي عليّ، بعتبره أجمل يوم في حياتي، بقضيه مع خيالي وأحلامي وكل يوم أكتفي بنظرة من حبيبي في العمل ونظرات وهمسات في الأحلام.

بس امبارح كان يوم مميز جداً، يشاء القدر إني أقع من السلم في العمل ويجري عليّ فارس أحلامي (مش فيلم عربي والله دي حقيقة) ويشيلني الفارس ويوصلني البيت علشان استريح وفعلاً كنت متألمةً جداً.. دخل البيت وبصّ حواليه وقالي:

- هو انت لوحدك؟

رديت و أنا متالمة جداً:

- أيوه أنا عايشة لوحدي.

استغرب جداً وسألني وهو متأثر:

- فين أهلك؟

دمعت عنيا و أنا بقوله:

- أنا وحيدة.. بابا وماما الله يرحمهم... ماتوا من كم سنة.

تتصوروا هو كمان عنيه دمعت، أد ايه هو إنسان حساس وحنيّن، فكّر شوية وقال:

- متهيألي إنت محتاجة لحد يرعاك النهارده، ملكيش أقارب؟

بدأ الألم يظهر عليّ.. مش قادرة أقاوم الآهه أكتر من كده... ردّيت و أنا بقاوم الوجع:

- أنا مش من هنا، أقاربي كلهم في الصعيد.

خلاص هو قرّر وأمر بكل أدب واحترام وقال:

- بعد إذنك أفضل معاك لغاية ما اطّمن عليك وتقومي بالسلامة.

رديت بسرعة من غير تفكير، بصراحة ما صدّقت وقلت:

- طبعًا... ألف شكر.

وكنت في غاية السعادة وهو معايا وتخيّلوا أتحرّك في البيت براحته وجهز لي الأكل وجميع أنواع المشروبات الساخنة... وتعبت وسخنت ونمت... و أنام وأصحو ألاقيه جانبي أو في المطبخ.

"الله.. الخيال هوّن عليّ المرض" أنا فعلاً مبسوطة مش حاسة بالألم ولا بالمرض.. تخيلوا حتى و أنا عيّانة بحلم بيه، بس ده حلم طويل بقالي ساعات بحلم وشيفاه كإنه حقيقة.. كفاية بقى خيال المفروض أقوم أجهز الغداء علشان جعت جداً مع إني فعلاً تعبانة... وأحاول أقوم من السرير أفوجئ بإيد بتطبطب عليّ وتعدلني على السرير وصوت بيقول:

- يلا يا حبيبتي علشان تاكلي.

أنا (في سري):

- ايه ده أنا اتجننت ولا إيه؟! قومي يا مجنونة كفاية خيال. واسمع نفس الصوت تاني ونفس الكلام بيتعاد:

- قومي يا حبيبتي علشان تاكلي.

واغمّض عيني و افتحها وألاقي نفس الوش... هو حبيبي.

يا رب ده حلم كالعادة ولا حقيقة؟! واغمض و افتح ألاقيه برضه.. معقول أكون اجننت، استر يا رب، استرها معايا ده أنا غلبانة ومليش حد.

الصوت:

- يلا بقى قومي بطلي كسل زمانك جعانة جداً.

و أتقلب في السرير يمكن أصحو كويس و أفتح عيني وألاقيه برضه،

بقيت أقول في سري:

- نهار اسود... أنا اتجنيت... خلاص كله دخل على كله.

ودخلت في بكاء هستيري وهو يطبطب وأنا ألطم. استغرب (شريف) جداً وقال:

- فيه إيه ما لك، مانت كنت كويسة؟!

قلت وأنا مش مصدقة نفسي:

- إنت إيه حلم ولا خيال؟ قصدي انت جنّ؟ قصدي.. انت مين يا عم؟!

ضحك ضحكة جميلة قلبي هفهف لما سمعها وقال:

- ده أنا (شريف)... ما لك؟ انت وافقت إني اقعد معاك وأنا قاعد معاك من ساعات.

بدأت أصدق أنه حقيقة مش خيال بس كان لازم أتأكد علشان ما اتصدمش وقلت له:

- يعني انت حقيقي؟ طيب اديني أمارة اني مش بحلم!

ضحك تاني بحنية وقالي:

- يا حبيبتي اهدي، اظاهر انك بتخرفي من السخونية، خدي الدوا علشان تخفي.

قلت بسرعة من غير تفكير:

- لا أنا مش عاوزة أخف... أنا عاوزة أفضل عيانة... قصدي معقول سايب بيتك وقاعد جانبي؟!

بص لي بخبث وحسيت أنه فاهم وعارف كل اللي جوايا... غمز لي وقالي:

- هو أنا برضه ينفع أسيبك وانت تعبانة كده!

قلت في سري: (يا لهوي...) وقلت له:

- الله يخليك... مش عارفة من غيرك كنت حعمل إيه!

وكملنا اليوم مع بعض أجمل أيام حياتي.. ده يوم حقيقي مش خيال (والله حقيقي) مش مصدقين برضه؟! أنا نفسي مش مصدقة... يا ريت أفضل عيانة على طول.

دخلت في نوم عميق وصحيت بعد كده مخضوضة عاوزة اطمن وجريت زي المجنونة أدور عليه ما لقيتهوش... بس اطمنوا لقيت الجاكيت بتاعه.. أكيد نساه أو حب يأكد أنه كان موجود!

يااااااااااه مش عارفة أوصف إحساسي ازاي!... وجوده جانبي في الحقيقة أفضل مليون مرة من أحلى خيال اتخيلته... حتى لو الحقيقة من غير حب و مشاعر من ناحيته.. فعلاً وجوده جانبي أحياني من جديد، هي دي الحياة الجميلة أشم ريحته وأشوفه.. مش حاطلب منه أنه يحبني... كفاية يسيبني أحبه، مش عاوزة أصحو من الحقيقة دي اللي حاعيش عليها باقي حياتي في منتهى السعادة.

الأحد الرابع والعشرون من أكتوبر ٢٠١٦

أخذت إجازة مرضي يومين، مع إجازة الجمعة والسبت بقيت تمام الحمد لله، لولا الجاكيت بتاع (شريف)... كنت افتكرت إني كنت بحلم.

اليومين اللي فاتوا...أنا ما بطلتش أشم الجاكيت... هههه تقريباً كنت مدمنة.. أنا مدمنة (شريف)... أنا مدمنة الحب والخيال.

أنا عارفة أنه شهم وجدع وإن اللي عمله معايا كان حيعمله مع أي حد في ظروفي بس... فيه حاجة جو ايا... فيه إحساس بيقولي... بيقولي أنه واخد باله مني... ممكن أكون عاوزة أوهم نفسي؟! مش عارفة... أكيد أنا موهومة.

رجعت الشغل وأول ما وقعت عيني على حد كان الواد (كيمو) اللي قالي:

- حبيب هارتي... حمد لله على السلامة... ألف سلامة عليكي.

استغربت جداً وحسيت إني مفضوحة، وشي أحمر وقلت:

- الله يسلمك... هو انتم عرفتم؟!

رد (كيمو) وهو بيضحك:

- عرفنا إيه يا بنتي؟! ده انت وقعتي حتة وقعة... ده احنا قلنا حتتجبسي فيها... الحمد لله جت سليمة.

أخدت نفسي بعد ما كان محبوسا... الظّاهر إن فعلاً اللي على راسه بطحة. أنا كنت حاسة إن الناس كلها عرفت بحبي لـ(شريف)... كنت خايفة إن سري يتفضح... أحلى حاجة في خيالي أنه ملكي أنا... أنا لوحدي اللي عايشاه...

وشوفته.... أيوه... أخيراً شوفته. تتصوروا!.. هو اللي جالي... هو اللي بيسأل عليّ... لما شوفته قلبي دق جامد... أنا سامعه صوته بيناديه... مش عارفة أسكته... اتلبخت واضطربت... أنا عاوزة أهرب... عاوزة أبعد... عنيّه بتفضحني...إيديّ بترعش... مش عارفة أعمل إيه؟! وهو بيقرب ويبتسم لي أحلى ابتسامة شوفتها... أنا غرقت في بحر عيونه. ورموشه أنقذتني لما غمض عنيه وفتحها وقالي:

- ألف سلامة عليكي... رجعتي بالسلامة خلاص كده ولا عاوزة تاخدي إجازة تانية؟!

جاوبته و انا لسه ماسكة في رموشه ألا اغرق تاني وقلت:

- الحمد لله.. أنا بقيت كويسة... وبجد ألف شكر على...

- شششششش... قاطعني برقة وأدب وكمل كلامه وقال:

- انسي الشكر ده خالص... مفيش بين الإخوات شكر.

مقدرش أنكر إني اتصدمت و اتضايقت من كلمة "الإخوات" دي... بس راجعت نفسي بسرعة وفكرت نفسي بعهدي... إني مش عاوزة منه أكتر من أنه يسيبني أحبه.

و افتكرت الجاكت بتاعه وقلتله:

- فيه أمانة بتاعتك معايا دلوقت... تاخدها؟!

رد بجدية وقال:

- ابعتيهولي على المكتب مع أي حد من عمال النظافة.

اتصدمت كتير لطريقته... اتحرجت... الظاهر أنا زودتها معاه وتقلت عليه.. قلت له:

- حاضر يا مستر (شريف)... حبعتهولك دلوقت اول ما توصل المكتب.

على أد ما بدأ اليوم جميل... على أد ما اتحرجت وندمت إني اتماديت معاه.. يا ترى أخد باله واتضايق مني وندم على اللي عمله معايا ولا أنا متهيألي؟!

فضلت باقي اليوم في نكد وخوف وقلق... بس المفاجأة أنه كلمني قبل ما نروح وشكرني على الجاكيت اللي كنت حريصة جداً إني اغسله من كتر الأحضان اللي حضنتها له... ارتحت كتير لما كلمني بطريقة تلقائية وحسيت أنه ما يعرفش حاجة.

الأحد الثلاثون من نوفمبر ٢٠١٦

النهار ده... تعلن الشركة عن رحلة بالباخرة لبعض الدول على البحر المتوسط.. وطبعاً لما عرفت إن حبيبي اشترك فيها اشتركت على طول... صدقوني أنا مش بحاول ألفت نظره، لكن أنا قلت لكم أنه روحي... ينفع أكون موجودة في مكان وروحي في مكان تاني؟!

أول ما رجعت من الشغل... نزلت تاني... اشتريت لبس جديد... هههههه اتخيلت نفسي عروسة... ده شهر العسل حقضيه مع روحي... لما كنت بشتري اللبس كنت بتخيل ذوق (شريف)... هو بيحب اللبس الروش بس يكون محتشم... أنا حسيت بكده لما لمحته كذا مرة بيدور وشه لما زميلتنا (ليلو) بتكلمه... ولمحته وهو بيبتسم لما يلاقي زميلتنا (إسراء) لابسة لبس جديد ويقولها: "أخيراً حاجة روشة".

الجمعة الخامس عشر من ديسمبر ٢٠١٦

النهار ده... النهار ده مش هقول أجمل يوم في حياتى لإن طول ما (شريف) معايا في خيالي... بيبقى أجمل يوم.. خلوني أقول النهار ده أنا قلبي بيتنطط من مكانه... هههه بضحك لوحدي... مش عاوزة حد يشوفني ألا يقول عليّ مجنونة... أنا مجهزة الشنطة من أسبوع... الإسبوع اللي فات ده عدى عليّ كإنه سنة.

اتجمعنا وركبنا كلنا السفينة...وكانت زوجته و ابنة الكبير معانا...
وهو معايا كالعادة في خيالي.

الأحد السابع عشر من ديسمبر

رست السفينة عند إحدى المدن الساحلية ونزلنا بأحد الفنادق و اتسكّنا في الغرف المخصصة لنا.. طبعاً أنا كنت لوحدي وما نسيتش أخد دفتر المذكرات معايا علشان أكتب وأدون أحلى أيام عمري.

الثلاثاء التاسع عشر من ديسمبر

امبارح وأول امبارح بالنهار... كان كل أعضاء الرحلة مع بعض بين الحدائق والجبال الجميلة... وعملنا حفلة شواء جميلة، في المساء كنا بنتجمع نلفّ في المحلات... وحضرنا حفلات الفندق بالمساء... الناس فاكرة إني لوحدي... بس (شريف) كان دايماً معايا... كأننا لوحدنا في الرحلة.

امبارح أنا ومجموعة من الزمايل...كنا حوالي عشرة تخلفنا عن باقي الأعضاء عن الرحلة.. يعني تقريباً ضلينا الطريق في أحد الجبال... وده كان بجد يوم جميل بخيالي اللي مشفش غيري أنا وحبيبي... لعبنا وجرينا وكان دايماً ماسك إيد و خايف عليّ جداً... وقضينا يوم رومانسي جميل انتهى بصوت مراته وهي بتقولي:

- يلا فيه ناس أهم عرفوا مكانا.. استعدي علشان نرّوح معاهم، إنت نمت ولا إيه؟!

مش عارفة ليه حسيت إن مراته متغاظة مني! بس طبعاً طردت الفكرده بسرعة لإن أنا عارفة إن كله خيال في خيال.

الثلاثاء السادس والعشرون من ديسمبر ٢٠١٦

مر عشر أيام من الرحلة، أجمل أيام... أنا واثقة إني أكتر واحدة انبسطت...

وجهزنا شنطنا وبنستعد نرحل في المساء... مش عارفة ليه قلبي مش مرتاح... ربنا يستر!

****

دلوقت السماء مليانة ضباب والأمطار بتنزل بشدة... سامعة عواصف شديدة والأمواج بتمرجح السفينة بشدة... إحنا خايفين كلنا ومرعوبين... وقربنا من بعضنا نحتمي في بعض... والسفينة بتهز جامد وشكلها حتغرق...الأطفال بتبكي.. وقبطان السفينة طلب مننا ننزل بقوارب النجاة ونتجه للشاطئ...الكل حاسس بالخوف والقلق... وفارس أحلامي بيحضن زوجته و ابنه في حنان و حب... وبنظر إلي في شفقة...لأ مش في شفقة بل في لهفة...

لحد إمتى حاكذّب إحساسي؟، كل نظراته فيها حب وشوق! لحد إمتى حانكر إحساسي وأوهم نفسي إن ده خيال!.. أنا متأكدة أنه بيحبني.

صدقوني ده مش خيال ومش أحلام... أنا حاسة بدفء نظراته... أنا سامعه صوت عيونه... صدقوني عنيه بتكلمني.

وارجع لخيالي علشان أهدا وأرتاح... و أنظر للزوجة المحظوظة.. بحب حبيبي ليها.

شفتم! حبيبي قرب مني وطلب مني إني أكون مع زوجته و ابنه لغاية ما يعرف طريقة للنزول من السفينة.

للمرة التانية أحس إن الحقيقة أفضل من الخيال... ليه طلب مني أنا بالذات إني أفضل معاهم؟! أكيد بيحبني.

وتركت لخيالي يصور لي إن حبيبي عاوزني أكون جانبه ويضمني مع زوجته و إنه حاسس بالمسئولية ناحيتي أنا كمان.

تخيلوا إني مش حاسة بالمصيبة ولا حاسة بأي خوف ومش حاسة بأي حاجة غير نظرة عين حبيبي ليّ.

مش عارفة ازاي هرب حبيبي بينا من السفينة على مركب صغير!

عاوزين تقولوا فيلم عربي قولوا مش مشكلة أهو ده اللي حصل... صدقوني أنا مش عارفة إيه اللي حصل؟! المهم إن إحنا الأربعة في مركب صغير متهالك يكفي بالكاد ثلاث أفراد...

واشتغل خيالي بسرعة إن حبيبي أكيد حينط من المركب علشان يخفف حمولة المركب... ولأول مرة أكره خيالي، ازاي خيالي يسمح لنفسه أنه يأذيني؟! ازاي يقبل دنيتي من غير حبيبي؟! ازاي أعيش بعد حبيبي؟!

ده هو اللي خلاني أفضل عايشة لحد دلوقت، معقول حبيبي يموت؟! معقول الحياة من غيره؟!

وخيالي ما يرحمنيش.. يصر على صورة حبيبي وهو غرقان.. ابعد يا خيال ابعد بعيد!

فين حبيبي... فين حبيبي؟! لاااااااااااا أنا مقدرش أعيش من غيره! من غير خيالي.. من غير أحلامي.. أنا ما ليش حياة من بعدك... انت اللي بتصبرني على وحدتي.

وأصرخ بأعلى صوت و أفوق من خيالي... ألاقي حبيبي يحضن مراته و ابنه وينظر إلي بشفقة، هو بيشفق عليّ، هو مش بيحبني، هو بيحب مراته.

ويرفض خيالي أنه يظهر، اختفى الخيال بعد ما واجهت الحقيقة، بقيت من غير خيال..

بقيت من غير أحلام...

إيه ده؟! أنا وحدي وسط البحر بلا حبيب... مفيش حد يزعل عليّ... مفيش حد يهتم بيّ.. محدش يعرف أنا مين؟! حتى حبيبي ما يعرفش إسمي، مين أنا؟ أنا مش مهم، أنا ولا حاجة... أنا إنسانة، الناس بتشفق عليها.

وتمر الساعات وخيالي مش موجود علشان يفسر سر نظرة حبيبي ليّ، محتاجة أنه يقول لي إنها نظرة الحب الدافئة، مش نظرة الشفقة.

أنا وحيدة... دي المرة الأولى اللي بحس فيها بوحدتي... يااااااااااااااااه أد إيه هو إحساس قاتل!

أد إيه الحياة قاسية... يااه على مرارة الأيام! يا ترى ممكن يكون الموت أفضل من الحياة؟! إنت فين يا أحلام؟ إنت فين يا خيال؟ إنت فين يا حبيبي؟

وفجأة رجع لي خيالي... رجع لي بصورة حبيبي وهو تحت المية... بيناديني بيناديني وبيهمس بصوت أنا بس اللي سمعاه: "تعالي يا حبيبتي، تعالي معايا، أنا و انت نعيش مع بعضنا بعيد، بعيد، بعيد عن كل الناس".

وأدور عليه ألاقي صورته جوه المية بيبعد بعيد وهو مادد ايده ليّ... و أقف و أقرر إني أروح مع خيالي تحت... وأسيب حبيبي مع مر اته فوق...

و نطت في البحر وهي بتصرخ بأعلى صوت "شريف".

ورااااااااح الخيال ومش لقيت حبيبها تحت... هي غرقت لوحدها و أكيد سمعت صوت حبيبها يصرخ من فوق وبينادي بأعلى صوت:

(وفاء) متسيبنيش أنا بحبك.

ما تستغربوش مين اللي كمل الحكاية؟

أنا اللي كملتها بعد ما عرفت الحقيقة... أنا (شريف)!

(روقة)

بدون مقدمات.... أنا (شريف).

أنا اللي كل الستات بيحسدوا زوجتي عليّ... و أنا اللي زوجتي على طول خايفة عليّ.

أنا مين؟!

أنا كل حاجة وعكسها... أنا امبارح أنا بكرة...أنا المخلص أنا الخاين...أنا الحنين أنا القاسي... أنا اللي باع متعته علشان يشتري مستقبله و أنا اللي باع مستقبله علشان يشتري متعته... أنا اللي بنى أسرة وحبها و أنا اللي هد الأسرة وكرهها!

أبتدي منين؟! بعد ما قريت مذكرات (وفاء) وعرفت إني مااستحقش أي وفاء؟! ولا أبتدي من الأول لما كنت فاكر نفسي الأول؟!

حبتدي حكايتي بحكاية... كان ياما كان فيه شاب وسيم اسمه (شريف) ولسه حيكون وياما حيكون شباب كتير زي (شريف)، كان (شريف) في التانية والعشرين من عمره، في السنة الأخيره من كلية التجارة، كان الكل بيحلف بأخلاقه، أدب شجاعة وقوة، وكان فيه بنت اسمها (حنان) في أولى كلية.

(شريف) حب (حنان) وارتبط بيها بعد ما لف عليها وحاول يلفت نظرها له.. فعلا (حنان) وقعت في شباكه وحبّته وبعد ما أنهى (شريف) السنة الرابعة بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف، ربنا كرمه واشتغل في شركة بسيطة في برج العرب.

خطب (شريف) (حنان) بشبكة بسيطة وكان والدها رجل محترم بيحب (شريف)...ما طلبش مهر كبير وقال: "إحنا بنشتري راجل".

اشترى الأب الراجل لبنته وسلمها له أمانة في رقبته... مات الأب وماتت الأم ومابقاش لـ(حنان) حد إلا (شريف) خلفوا صبيان وبنات وعاشوا في تبات ونبات.. وتوته توته يا ترى خلصت الحدوتة؟!

****

الحدوتة خلصت... بالنسبة للمجتمع والناس... خلصت بالنسبة للأهل... حتى (حنان) افتكرت إنها خلصت.. بس أنا كان عندي حدوتة مختلفة خالص عن الحدوتة دي...

****

وأنا شاب في إعدادي وثانوي... كنت زي كل الشباب... تشدني البنت الجميلة... أم رموش طويلة وعيونها واسعة كحيلة... ديل حصانها واصل لظهرها... تمشي كده وتدلّع... وضحكتها تخلي نار جوانا تولّع... دي كانت مواصفات الفرسة اللي حنجوّزها... ما هو البنات عندهم فارس أحلام واحنا كمان عندنا فرسة أحلام... ودخلت الجامعة مش عارف إيه اللي اتغير... ليه بقيت بدور على واحدة عادية أحبها وأخطبها!

اتغيرت اهتماماتي من البنت الجميلة للبنت المؤدبة بنت الناس المتربية...

قابلت (حنان) بنت مؤدبة جداً.. وبنت ناس زي ما الحاجة كانت موصياني.. إني أختار بنت ناس متربية علشان تبني لي بيت قوي وتربي لي ولادي كويس وتعامل أهلي بأدب وتقف جانبي في أزماتي وتشد من أزري.

أنا عمري ما فكرت أسأل نفسي إذا كنت عاوز أولاد ولا لاء؟! ما هي دي سنة الحياة إني أتخرج واشتغل واتجوز وأخلف... طيب أفكر ليه؟!

شفت (حنان) فيها المواصفات القياسية للزوجة المثالية... زي الكتاب ماهو قايل.. لفيت وراها جامد وشغلتها وسمعتها أحلى كلام... أكيد ما سمعتهوش قبل كده... طبعاً أنا منقيها على الفرازة ما تعرفش حد قبلي وماعندهاش أي خبرة في الحياة... زي مابيقولوا كده "بالسوليفان".

وقعت طبعاً في شباكي وكسبت الرهان مع نفسي... واتقدمت لوالدها بعد ما اشتغلت وخطبتها. استمرت فترة الخطوبة تلات سنين لحد هي ما اتخرجت وأنا أقدر أكون نفسي... وتم الجواز على خير.

أول يوم جواز كان أحلى يوم في حياتي... بنت صغيرة ساذجة بقيت بتاعتي... أيوة بتاعتي لفظ غريب.. مش كده؟! بس هو ده اللي حسيت بيه.. إنها بتاعتي... ملكي... الريموت كنترول معايا.. اضحكها واعيطها بزرار... أخاصمها واصالحها بزرار... أسعدها واتعسها بزرار... تروح وتيجي بزرار... كل مفاتيحها معايا. فرحت جداً بالإحساس ده واستخدمت المفاتيح بمزاجي... لو زهقان ازعلها علشان تعيط واتفرج عليها وهي بتعيط.. وأنا مبسوط وشوية كده أصالحها بحضن... بس كده خلاص صالحتها وضحكت... الموضوع بسيط واللعبة جميلة.

فضلت ألعب كده واللعبة احلوت قوي لما والديها توفوا... بجد زعلت عليهم.. كانوا طيبين الله يرحمهم بس فيه حاجة جوايا نورت... (حنان) بقيت بتاعتي لوحدي للأبد.

هي بالفعل كانت بتاعتي بس وجود حد تاني هي بتحبه ويحبها.. كان محسسني إنها مش بتاعتي بنسبة مية في المئة... كان فيه حد تاني في حياتها بيشاركني فيها... دلوقت بقيت أنا بس...أنا بس اللي ليها... بالبلدي كده أخبطها في الحيطة وترجع لي تاني.

بعد لما بقيت (حنان) ملهاش غيري... زودت جرعة الحنان ليها وفي نفس الوقت دايماً كنت بفكرها إن ملهاش غيري... علشان تهتم بيّ أكتر وتتمسك بيّ أكتر... وخدمتني الظروف انها اتأخرت في الحمل كتير معرفش كم سنة لأني كنت مهتم بشغلى جداً... كان أهم حاجة عندي شغلي وارجع بيتي ألاقي طلباتي مجابة...استغليت حزنها وخوفها إني اسيبها علشان اخليها تكرس كل وقتها لخدمتي... وعلى الرغم من إني كنت مش مهتم بوجود أطفال إلا إني أخفيت ده... وبقيت كل فترة أحسسها إني مشتاق للأطفال... فكانت بتعوضني بدلع وحب شديد وطلباتي كانت أوامر بالنسبة لها.

عشت تقريبا ست سنين ملك... اترقيت في شغلي لكفاءتي الشديدة و اتنقلت من شركة لشركة ومستقبلي الوظيفي معالمه بتظهر أدامي... وأخيراً ربنا أراد إن (حنان) تحمل وكانت فرحتها كبيرة جدا غطت على حزنها لفقد أبويها اللي استمر معانا سنين.. و أنا فرحت طبعا وفرحت لفرحها وفرح والدتي... وكان حملها صعب وخطر... أرحمها؟

أبداً ما رحمتهاش...طلباتي زادت.. مش عاوزها تتعود إني أعمل حاجتي بنفسي... وهي ما اعترضتش على الرغم إن عنيها كانت بتعترض بس لسانها ما نطقش.

خليتها تتنازل عن شغلها علشان الحمل و أنا ما اتنازلتش عن طلباتي... شكلها اتغير في الحمل كتير وجسمها بقى ممتلئ كتير... وصحتها ضعفت.. وأخيراً جابت ولي العهد ولد جميل... أرحمها ولا أعتقها؟!

أبداً.. طلباتي قبل طلباته... لما كان الولد بيرضع كنت بطلب منها...أي حاجة أكل أو شرب أي طلب وخلاص.. ما كنتش عاوز أحس إنها بتهملني أو بتفضل ابننا عليّ.

وكانت بتنفّذ كل طلباتي وهي ساكتة من غير اعتراض... طلبت منها إننا نخاوي ابننا علشان المجتمع بيقول كده... لازم يبقى عندك طفلين أو تلاتة... و افقت (حنان) تحت ضغطي وضغط الوالدة إنها ما تركبش أي وسيلة لمنع الحمل... وفعلاً ربنا أراد إننا نجيب التاني ولد جميل ربنا يبارك فيه...

بقى عندنا ولدين أشقياء جداً ورميت كل حاجة على (حنان)... أنا عليّ مصروف البيت وهي كل حاجة... مش مشكلتي إنها تعبانة... تتصرف.. قمت خلاص بوظيفتي واديت لها مصروف البيت... تشتري هي طلبات البيت وتطبخ وتغسل وتنظف وترضع الولاد وتراعيهم...

كل ده مش مشكلتي المهم إني أرجع ألاقي طلباتي جاهزة. تعبت (حنان) كتير علشان تحقق المعادلة الصعبة وبصراحة حققتها... بس أهملت في نفسها كتير وحتى علاقتي الخاصة بها أهملتها.

بقيت بتراضيني بس... أصلها تعبانة على طول... و أنا كمان اتشغلت في عملي وبقت علاقتي الخاصة بها احتياج مش متعة... يعني في النهاية بقيت علاقتي بزوجتي كلها احتياج.

عدت السنين وكبر الأولاد وربنا كرمنا ببنوتة جميلة... و أنا كمان اشتغلت في شركة كبيرة انترناشيونال.. كنت أنا المدير المالي الخاص بالشركة وهنا بقى حياتي اتغيرت... بدأت أحس بالملل الزوجي...

أنا عاوز أستمتع بحياتي.. من حقي إني استمتع.

جالي إحساس غريب بالشوق لفترة الإعدادي والثانوي... أنا عاوز واحدة جميلة تمتعني... أنا راجل له رغبات وبقوم بواجباتي لبيتي وزوجتي وأولادي بصراحة حسيت بإني عاوز "روقة"...

اه... "روقة" اللي في فيلم (العار) واحدة جميلة تستناني على نار لما ارجع... وتحضر لي الشيشة وتلبس قميص عريان على الآخر وترقص لي على واحدة ونص وتمتعني...

أنا ايه اللي خلاني أخد واحدة عاوزة تخلف!.. أنا ما كنتش عاوز أخلف... أنا ايه اللي خلاني أخد واحدة متعلمة؟!.. كان المفروض أخد واحدة تتعلم ازاي تبسط جوزها. أنا ايه اللي خلاني أخد واحدة مؤدبة...كان لازم أخد واحدة خبرة اللي أطلبه منها تنفذه من غير كسوف.

(حنان) مقصرة في حقي كتير... مش قادرة تمتعني ومش بتحاول مع إني قلت لها كتير. أفتكر مرة طلبت منها وقلت:

- (حنان)...أنا عاوزك تلبسي لي لبس مكشوف في البيت ليل نهار.

سكتت (حنان) شوية وقالت:

- ازاي يعني يا (شريف)؟! احنا عندنا ولدين يشوفوني و أنا عريانة... بالإضافة إن الجو سقعة جداً... و انت ذات نفسك لابس روب وشراب.

استفزتني بصراحة وصممت ونزلت اشتريت لها بادي مفتوح من الصدر وهوت شورت ورجعت وقلت لها:

- بكرة ارجع من الشغل ألاقيكي لابساهم.

وفعلاً رجعت من الشغل لقيتها لابساهم، والأولاد بتضحك عليها وهي جسمها بيترعش من السقعة وازرقت وعطست و... نامت أسبوعين على

السرير جالها نزلة شعبية قلبت على التهاب في الحنجرة ودى كانت آخر مرة اشوفها عريانة.

افتكر مرة كانت نايمة... على فكرة أنا عاوز اتجوز واحدة مش بتنام... أنا مش فاهم الستات بيناموا ليه؟! هم بيتعبوا في ايه؟! المفروض الست ما تنامش وتسيب جوزها حتى لو نام.... المفروض الست تفضل صاحية تمتع جوزها طول ماهو صاحي... ولما ينام ويخرج تفضل صاحية تفكر حتمتعه ازاي لما يرجع أو يصحى... يلا اهو كل واحد بياخد نصيبه وخلاص... المهم أنا فاكر مرة كانت نايمة كالعادة لقيت حتة من دراعها باينة حاولت ألمسها... لقيتها اتهزت جامد في السرير من النرفزة وقالت:

- سيبنى يا (شريف)... ما تضيعش النوم من عيني أنا هلكانة من الصبح.

اتضايقت بصراحة وزعقت وقلت:

- هو فيه ايه يا ستي؟! نفسي في حتة لحمة امسكها.. مش قادر...

وقبل ما اكمل كلامي لقيتها انتفضت من السرير ومسكتني من دراعى وقالت بكل حنان:

- يا حبيبي يا (شريف) ما قلتش ليه من زمان؟!

بصراحة قلبي حن ليها وفرحت جداً.. و ابتسمت لها وحسست على دراعها وقلت لها:

- يا حبيبتي ما انت مش عطياني فرصة اطلب على طول نايمة و...

وقبل ما اكمل كلامي لقيتها بتقول:

- افتكرت! عندي حتة لحمة في التلاجة وشوية محشي أسخنهم لك؟!

أنا كـ(شريف) اندهشت وحسيت كده بغمامان نفس.. ودوخت ومسكت المخدة وعلى دماغها وقلت:

- محشي؟! محشي.. يا (حنان)... روحي نامي يا بنتي الله يهديكي.

ومن ساعتها كبرت دماغي من طلب المتعة منها واتمنيت غيرها... وصادف ظهور (ليلو) موظفة جديدة في الشركة عندنا... المثال الحي للمرأة كما يجب أن تكون... أنثى في زمن لم تعد الأنثى أنثى.

(ليلو)... كل الرجالة كانوا بياكلوها بعنيهم وهي مستمتعة بنظرات الرجالة ليها. أما أنا في الأول كانت بالنسبة لي واحدة عاوزة تصطاد راجل فزهدتها واتجنّت... واضح انها مش متعودة على إن حد يزهدها... تجاهلتها رغم من كل محاولاتها إنها تلفت نظري.. بس أنا (شريف) الراجل المحترم اللي بيحب مراته ومخلص ليها.. لا يمكن أتنازل عن الصورة دي أو حتى اسيبها تهزّ.

في يوم من الأيام... أقام رئيس الشركة حفلة على شرف الموظفين المحالين على المعاش وتكريم للموظفين الأكفاء اللي انا والحمد لله منهم... ده كان يوم فاصل في حياتي وحياة (حنان).

كانت (حنان) سعيدة جداً وبترحب بأصدقائي لغاية ما دخلت (ليلو) بفستانها المثير... وبنت اللّذين قصدت تسلم عليّ وتبوسني أدام زوجتي مع إنها عارفة إني مش بسلم على الزميلات بالقبلات... ومنها ولعت النار في قلب (حنان).. شعللت الغيرة في قلبها و اتحولت لشيطان رجيم على الرغم من إني قصدت أتجاهل (ليلو) بس خلاص كان سهم الغيرة رشق في قلبها.

و اتقلبت الحفلة لشجار شديد ما خلصنيش منها إلا ذكاء والدتي ربنا يكرمها...أمي بكل حكمة وذكاء قدرت تلهي (حنان) عني وتسيبني أنام.

نمت على صوت (حنان) وهي بتوصف (ليلو) بدقة شديدة أنا ما اخدتش بالي منها.. في اليوم ده أنا شفت (ليلو) من زاوية تانية... أنا حلمت بيها وخنت (حنان) في أحلامي...

دي كانت اول مرة اخون (حنان) في أحلامي... على الرغم من إحساسي بالملل ورغبتي في (روقة) بس عمري ما حلمت بواحدة تانية. وحلمت وجالي كوابيس وصحيت من النوم فجأة على صريخ (حنان) وهي بتقولي: "عاوزة ابقى (موزّة")"...

يا خبر ابيض على اللي شوفته بعدها... (حنان) فعلاً انقلبت لواحدة تانية أول مرة أشوفها... هي طول عمرها بتغير عليّ... بس المرة دي مختلفة... دي مش غيرة.. دي ثورة.

(حنان) بتثور على الأوضاع... بتثور على نفسها وعليّ وعلى بيتها وعلى أولادها... لازم كنت أطاطي للثورة واحتويها واحسسها اني معاها و انفذ لها طلباتها.

بدأت (حنان) تتغيب عن البيت... في الأول كنت مبسوط حكون براحتي خصوصا إن (ليلو) بدأت تتقرب ليّ تاني بس المرة دي بدأت استجيب لها.. وهي بتكلمني كانت عنيها بتناديني و أنا قلبي بيستجيب.

بدأنا بالتليفونات والنت... وعجبتني وعجبتها...و اتقابلنا بره واستمتعت فعلاً بوجودها في حياتي... أخيراً عرفت المتعة اللي رفضتها من سنين... العلاقة بينا اتطورت بسرعة خلال أيام.. بقينا بنتقابل بعد الشغل على طول نقضي باقي اليوم مع بعض.. مسكت إديها... جميلة إيد (ليلو).. طرية وناعمة قوي.. فرق كبير بين إيدها و إيد (حنان) اللي على طول في المية... بشرتها نقية وصافية وناعمة قوي... تقريباً هي على طول عند مراكز التجميل مش زيّ (حنان) على طول مكشرة والتجاعيد باينه..

مسكت كل حتة فيها... بجد أنا ماسك عروسة ملبن...ريحتها وضحكتها بتنادي على الهمجي اللي جوايا. داخل كل راجل عامل نفسه محترم إنسان همجي مستخبي.. نفسة يطلع ومش قادر... خايف من المجتمع وخايف من الناس... الإنسان الهمجي ده مايعرفش يتعامل مع الست المحترمة أو الزوجة اللي عندها أولاد تهتم بيهم أو بنت الناس زي ما بيقولوا...

الإنسان الهمجي ده مايعرفش يتعامل إلا مع أنثى بمعنى كلمة أنثى... اللي هي كده ربنا خلقها علشان تمتع الراجل بس... ملهاش وظيفة إلا كده...

زي (روقة)... أيوه (ليلو) هي (روقة) اللي طلعت الهمجي اللي جوايا.

ما تصدقوش إن فيه راجل مخلص لمراته... قولوا فيه راجل لسه ما قابلش اللي تخرج الهمجي اللي جواه... وقررت اتجوز (ليلو)...

بسرعة كده؟! أيوه بسرعة كده. أستنى ليه؟! علشان أسأل عن أخلاقها! أنا عاوزها خبرة علشان الهمجي اللي جوايا يعرف يتعامل معاها.

أستنى ليه؟! لما نختبر حبنا! أنا بحب (حنان)... أيوه ما تستغربوش.. مش معنى إني حتجوز على مراتي إني مش بحبها... بالعكس أنا بحبها وبحترمها أكتر من (ليلو) بكتير.. ده مفيش مقارنة أساساً... بس أنا بحب نفسي أكتر... بحب أمتع نفسي.. جوازي من (ليلو) مش علشانها.. ده علشاني.. علشان استمتع... بصراحة لو الست فعلاً بتحب جوزها تقوله يتجوز...

أنا مش فاهم ليه الست المصرية أنانية كده؟ طيب هي عارفة إنها مش حتمتع جوزها علشان مشغولة بالولاد والبيت... ليه تفرض عليه انه يتحرم من متعته؟! فيها ايه لما يكون لكل راجل زوجة تنظم له حياته و تربي له أولاده ويكون عنده أنثى تمتعه! وهي الستات اتخلقت ليه؟! مش علشان الراجل... واحنا اتخلقنا علشانهم... نصرف على الأولى ونصرف على التانية.. هم اسبوعين كنت في غيبوبة تامة... غيبوبة عن بيتي ومراتي وأولادي... أولادي؟! فقت من الغيبوبة لما لقيتهم بيكلموني وأنا مع (ليلو) وهم لوحدهم بيعيطوا لإن مامتهم مش بترد على تليفونهم وهم لوحدهم... الهانم ليل نهار في مراكز التجميل وسابت الأولاد... لا أكل ولا رعاية ولا متابعة دروس... دي بجد اتجننت هي فاكرة نفسها إيه؟!

اضطريت أترك (ليلو) قبل ما نحدد ميعاد الزواج... وأول مرة آخد بالي من البيت بعد أسبوعين غيبوبة... لا مش ده البيت اللي اتعودت عليه... البيت فوضى والأولاد يبدو عليهم الإرهاق الشديد

والهانم مش بترد على أي تليفون... اضطريت أجهز الأكل بنفسي ودي كانت أول مرة في حياتي مع (حنان) اللي اجهز فيها الأكل... وبقول (حنان) لإن أنا دايماً كنت مع (ليلو) في المطبخ بنعمل الأكل... لا مش أنا.. ده كان الهمجي اللي جوايا... لما كانت (ليلو) تدخل المطبخ كان بيدخل وراها إيد على وسطها والتانية بتعمل الأكل... تسألوا إشمعنى؟! حاقولكم دي كانت واقفة في المطبخ لابسة هوت شورت... بس.

(ليلو) معروف عنها إنها مش بتدخل أي راجل بيتها.. ومعروف إنها بتاعة جواز مش ليلة وتعدي.

بس معايا (ليلو) اختلفت... (ليلو) عارفة وواثقة إني مش حاخدها إلا في الحلال...علشان كده دخلتني بيتها... واتعاملت بطبيعتها جداً... وأنا كمان كنت على طبيعتي جداً اللي محدش يعرفها ولا أنا شخصياً كنت أعرف طبيعتي الهمجية... طول ما أنا مع (ليلو) كان فية صراع بيني وبين الهمجي... كان مُصر أنه ينسيني مبادئي ودينى.

كان كل شيء عنده مباح ومعندوش خط أحمر... قال كلام أبيح...عمر (شريف) ما قاله لمراته لأنه كان معاها تقليدي جداً... مسك كل حته في (ليلو) بطريقة همجية جداً... كانت (ليلو) بترقص وبتتلوى زي الأفعى وكان هو الحاوي بالمزمار.

لو رجعت بي السنين كنت اتجوزت واحدة زيّ (ليلو)... مكانش في دماغى إني أجيب أولاد. طيب ليه مش اتجوزت من الأول واحدة تمتعني وتتمتع معايا؟! ليه ربطت نفسي بإنسانة ظلمت نفسي معاها وبظلمها معايا؟!

وعلى فكرة البنت والست اللي بيحبوا الجنس بيبان عليهم... مش شرط تبقى حلوة.. بس بتبقى عايقة ومايصة وماشية بدلع وعنيها زايغة بتدور على عيون الرجالة... بس الست الحاجة أكيد مكانتش حتو افق على البنات دي..

هي عايزة واحدة زيّ (حنان)... إحنا بنتجوز على مزاج أهالينا وهم بيمشوا وبيسيبونا نواجه نزو اتنا.

فيها ايه لما شاب يتجوز واحدة مطلقة أو أرملة؟ طالما حاسس بيها وحاسة بيّ.. لكن المجتمع طبعاً يرفض ويضطر يتجوز اللي أهله مو افقين عليها... وبعد سنين تنشأ بينهم فجوة... يرجع تاني يتجوز على مراته علشان يمتع نفسه ويظلمها ويظلم أولاده وهنا بقى المجتمع يقبل.

****

المهم اضطريت أجهز الأكل بنفسي واستنيت الهانم... جت بعد تلات ساعات بعد ما الأولاد ناموا... مين دي؟! (حنان) راجعة بشكل جديد... صابغة شعرها وموصلاه.

وبشرتها نقية بتلمع و إيديها بقيت طرية بعد ما كانت شبه إيديّا... قالت وهي فرحانة جدا:

- ايه رأيك؟! مش قلت لك حبقى (موزّة)!

ما رديتش عليها وفضلت لمدة ساكت و اتكلمت وقلت:

- مش بتردي على التليفونات ليه؟!

اختفيت الابتسامة من وجه (حنان) وظهر الضيق وقالت ببرود:

- ما سمعتش... ما انت عارف مراكز التجميل غالباً الشبكة فيها ضعيفة.

شاورت على حجرة الأولاد وقلت ببرود أكتر:

- ما فكرتيش تطمني على الأولاد و تشوفي إذا كان حد محتاج حاجة.

ردت (حنان) بتحد شديد:

- أنا نازلة قبل ميعاد رجوعك بساعة بس... يعني أقلق ليه؟! واطمن على ايه و انت معاهم؟!

اتلجمت وسكت... بصراحة خفت... حسيت اني عامل عاملة... هي كانت معتمدة عليّ و أنا ما رجعتش في ميعادي... وهي لما حست بارتباكي استغلت الموقف علشان تبقى الأقوى وسألتني بكل خبث:

- إنت كنت فين يا (شريف)؟

أول مرة اكذب و اقول:

- أنا جيت في ميعادي بس أنا مش وظيفتي إني لما أرجع من الشغل أراعي الأولاد والبيت... بصراحة انا مش عاجبني اللي بيحصل ده... ما ينفعش تسيبي الأولاد وتروحي كل يوم مراكز تجميل.

بصراحة... أنا كنت متغاظ... أنا مش عاوزها تهتم بنفسها... أنا عاوزها تهتم بالبيت والأولاد بس... أنا مش عاوزها تبقى مختلفة لازم تفضل زيّ ما هي... لازم أكون أنا الأقوى... لازم يكون عندها دايماً نقص في شيء...أنا خلاص حددت مهمتها ووظيفتها... هي للبيت بس مش لمتعتي... لازم أمنعها... لازم ترجع لبيتها وأولادها... لازم تنظم لي حياتي وتهيأ لي الظروف علشان أعرف أخد متعتي من (ليلو)... بس هي كان ليها خطة تانية.

- (حنان)... مفيش تاني مراكز تجميل و انت عجباني كده...خليكي في البيت. قلت لها الكلام ده بس فوجئت بردها كالصاعقة:

- و انت مين قالك إني بعمل كده علشانك؟! مين قالك إني بعمل كده علشان اعجبك؟! أنا بعمل كده علشان نفسي... لأن ده حقي.

ردها كان مفاجأة وصادم... مش دي (حنان) اللي أنا اعرفها... دي واحدة تانية... الغيرة فعلاً اكلتها وغيرتها... خليتها قاسية علي.

كملت (حنان) كلامها بكل جديّة:

- بص يا (شريف).. انسَ (حنان) بتاعة زمان... أنا بهتم بنفسي و إنت حتاخد دوري شوية... مفيهاش حاجة لما تقعد مع الولاد ساعتين تلاتة بعد الشغل... ولا انت وراك حاجة تانية أهم من أولادك؟

قالتها بطريقة غريبة... هي بتشك فيّه؟! هي شافت حاجة؟! وعلشان أنا على راسي بطحة و افقت. اه والله و افقت... و افقت إني ارجع كل يوم بعد الشغل علشان أولادي وبيتي... طيب و(ليلو)؟!

بصراحة ما فكرتش وقتها في (ليلو)... كل اللي كنت بفكر فيه إني احمي بيتي وأولادي... ممكن أكون فعلاً حسيت بوجع الضمير أو حسيت إن (حنان) جد فعلاً... ولو عاندت معاها البيت اللي أنا بنيته طوبة طوبة حيتهد... والأولاد اللي تعبت في تربيتهم وشقيت عليهم حيضيعوا... يمكن أكون كنت عاوز أهرب من وعدي بالجواز من (ليلو)؟!

بدأت رحلة عذاب فعلاً... كل يوم برجع على بيتي أراعي أولادي وأجهز لهم الأكل... ما هي (حنان) فعلاً رفضت دخول المطبخ ورفضت تعمل أي حاجة في البيت... كانت كل يوم تصحى من النوم تهتم بنفسها وترتاح... وقبل ما أوصل بساعة تنزل على مراكز التجميل والجيم....

فضل الحال كده شهرين... و(ليلو) مش صابرة... بتلاحقني دايماً...ما هو أنا كنت خلاص مش قادر أقاوم إغراءها وهي بين إيديّا... السافلة قدمت لي نصفها الفوقاني أعمل فيه اللي أنا عاوزه ومنعت

مني النص التحتاني.. لما خلاص ما بقيتش قادر أقاوم.. طلبت مني الجواز وطبعاً و افقت... وفي اليوم اللي كنت حكتب عليها أولادي استدعوني...

بس أنا زهدت (ليلو)... ممكن أكون زهدتها بعد ما فوقت من أثر إغراءها... ممكن أكون زهدتها من وجه الضمير... أو ممكن أكون زهدتها من كتر التعب....يعني إيه؟!

يعني أنا لما كنت مرتاح في بيتي... بصيت بره؟! معقول؟! من كتر الدلع والراحة اتعوجت وحسيت بنفسي ملك ولازم يكون عندى جواري؟! معقول نظرتي للمرأة اختلفت كده؟! المرأة بعد ما كانت زوجة وصديقة واخت وحبيبة تتحول لخدامة أو عشيقة؟ واكتشفت حاجات تانية كتير... اكتشفت إن أنا مش أنا... أنا (حنان)...

أيوه أنا (حنان) لأنها هي اللي عملتني... مش أنا اللي عملت نفسي.

(حنان) هي اللي بنت البيت ده... مش أنا اللي بنيته.

(حنان) هي اللي نجحتني في شغلي... مش كفاءتي.. (حنان) هي الأقوى... هي المسيطرة... هي المتحكمة مش أنا.

فعلاً (حنان) هي اللي بتجهزلي ملابسي وهي اللي بتختار نوع الطعام اللي حناكله...هي اللي بتقرر مكان الفسحة اللي حنتفسحها... هي اللي اختارت مدارس أولادنا...هي اللي قررت إنهم يطلعوا من الأوائل ويتكرموا لأنها هي اللي بتتابعهم في الدراسة... هي اللي بتقرر نوع الهدايا اللي بنهاديها للناس حتى أمي هي اللي بتجيب لها الهدية....

(حنان) هي اللي بتنظم لي وقتي علشان اتفرغ لعملي... أنا خلال الشهرين دول أهملت عملي كتير...

****

اكتشفت إن (حنان) هي المدير المالي للبيت و أنا موظف عندها... اكتشفت إن الجواز ده عبارة عن شركة كبيرة وعظيمة... الراجل عليه رأس المال والمرأة عليها الإدارة... لو فيه سوء إدارة عند أي شركة يضيع رأس المال... و أنا دلوقت ضايع...إيه فايدة رأس المال معايا و أنا حتى مش عارف أعمل أكلي وأكل أولادي؟!

ايه فايدة رأس المال لما أولادي مش لاقيين أب يحبهم وأم تهتم بيهم؟!

أنا اتغيرت كتير و(حنان) كمان اتغيرت... لما حست بالأمان معايا و اني معاهم ارتاحت... واضح إنها كانت حاسة بمشاعري بتتغير علشان كده ثارت وفقدت الثقة بنفسها.

ما هو أنا الغلطان.. أنا اللي خليتها تحس إنها من غيرى مفيش... أنا اللي سخرتها ليّ... أنا اللي خليتها تهمل نفسها وهو اياتها... حتى الأولاد كانت بتهتم بيهم علشاني أنا...المسكينة لما حست إني حضيع منها انهارت... افتكرت أنها مش حتقدر تعيش من غيري... مع إني أنا اللي مش حقدر أعيش من غيرها... حتى لو اتجوزت مليون (ليلو).... (ليلو) دي بونبونايا مصيرها تخلص وطعمها يروح بس مش حتضيف أي إضافة إلا متعة مؤقتة.. لكن (حنان) هو طبق الفول اللي بيسندك لآخر اليوم.

****

رجعنا لحياتنا القديمة أنا و(حنان) راضيين وشاكرين فضل الله... ورجعت تاني زيّ الأول أتنازل عن متعتي زيّ ما (حنان) برضه اتنازلت عن متعتها... علشان نبني بيت أساسه سليم ونربي أولاد صالحين سويين.. بس اللي فيه طبع عمره ما يغيره.

(حنان) بقيت هي الأقوى... بقيت هي المسيطرة...أنا فقدت الريموت كنترول بتاعها... أنا فيه إحساس ناقصني... إحساس إني الأقوى... إحساس إنها من غيري ما تقدر تعيش...وهنا بقى ظهرت (وفاء).

(وفاء)

اتعينت بنت جديدة... عاملة تليفونات وظيفتها استقبال الشكاوى وتدوينها وإرسالها لمدير الشركة... مكانش فيه أي تعامل بينها وبين أي موظف في الشركة... علشان كده محدش اهتم بإنه يعرف حاجة عنها ولا حتى اسمها.

(ليلو) كانت حتتجنن من بعدي عنها.... بس أنا عرفت أتعامل معاها... كنت قوي معاها وفهمتها إن مراتي عرفت بعلاقتنا وهددت بالطلاق... و إني لازم أقطع علاقتي بيها فوراً وإلا بيتي يتخرب... طبعا هي ما بعدتش بسهولة... بس أنا بيني وبين نفسي نويت ألتزم و أبعد عنها...

بعد ما بدأت التزم في عملي و(حنان) ربنا هداها ورجعت تهتم ببيتها وأولادها... اكتشفت إن فيه أخطاء في بعض حسابات أجور الموظفين... ضبطت الحسابات مع مستر (عامر) وبعت ايميلات لكل الموظفين اللي صادفتهم مشكلة الأجور إنهم يبلغوا سكرتارية المكتب عندي... ولمحتها من بعيد.

****

بنت رقيقة جداً.. مؤدبة وهادئة... مش جميلة بس نقدر نقول متوسطة الجمال... طبعاً هي مش لفتت نظري بس اللي لفت نظري... نظراتها لي... كانت بتبص لي بطريقة غريبة جداً... نظرة انبهار.

عينيً جت في عينيها اضطربت أسلم عليها وقلت لها:

- ازيك يا حبيبتي... عاملة ايه؟

على فكرة كلمة "حبيبتى وحبيبي" بقولها لكل الناس والكل بياخدها عادي... بس هي عنيها لمعت ووشها أحمر... لفت نظري جداً إن لسه فيه واحدة وشها بيحمر وبتكسف.

اكتشفت إنها كمان ساكنه بالقرب من بيتي لما ركبت معايا في نفس سيارة الشركة...

بنت غريبة جداً... مش بتكلم حد خالص إلا شخص واحد اسمه (كيمو) بحكم أنه زميلها في نفس المكتب... وواضح إن هو كمان ما اهتمش يسألها عن اسمها... كنت بسمعه بيناديها بأى كنية... يا حبى.. يا (موزّة).. يا جميل...وهكذا.

الوحيدة اللي كانت حطاها في دماغها هي (ليلو)... واضح إن (ليلو) انتبهت لنظراتها ليّ... بدأت تحتك بيها وتفتعل معاها المشاكل... مشاكل هايفة وبسيطة زي اللي بين الستات... عملت مرّة مشكلة على ترابيزة الغدا مين حاجز الأول؟ عملت مرّة مشكلة على دور في ماكينة صرف المرتبات... وفي كل مرة كانت البنت بتتنازل وتنسحب من المشكلة...

بصراحة البنت صعبت عليّ جداً وحسيت إنها ضعيفة... إيه؟ ضعيفة؟ هو لسه فيه بنات وستات ضعيفات؟

بقيت حريص إني كل يوم أصبح عليها... زيّ ما بصبح على كل الموظفين... بس كنت حريص جداً إني اقرأ عنيها... وأحاول أفهم معني نظرتها ليّ... عنيها جميلة جداً... صغيرة مش واسعة بس فيها براءة وطفولة جميلة.. لونها عسلي فاتح وبتلمع...

كل ما تشوفني كنت بحس إنها بتسرح وبتروح في دنيا تانية...يا ترى بتروحي فين؟! أكون بفكرها بحبيب قديم؟! نفسي أفهم معنى نظرتها.

يوم الحفلة اللي غيرت حياتي أنا و(حنان)... شوفتها وهي داخلة لوحدها... أول ما عنيها جت في عيني وقفت على الباب فترة وهي بصالي بعيونها الجميلة لدرجة إن (حنان) قالت باستهزاء:

- ودي ما لها دي كمان... هي ناقصاها؟!

طبعاً أنا عملت نفسي مش واخد بالي وقلت:

- بتتكلمي على إيه يا حبيبتي؟

ردت بعصبية وقالت:

- مش بقول حاجة... بكلم نفسي.

حمدت ربنا إنها عدت الموضوع ده... كفاية عليّ خناقة علشان (ليلو) مش ناقصين خناقة تانية.

لما بدأت اتكلم في مقدمة الحفلة... البنت كانت بتبص ليّ بانبهار وإعجاب شديد حسستني كده إني عالم مشهور أو فنان عالمي... كملت كلامي لعيونها الجميلة... والله العظيم ما كنت أقصد اشغلها... هي جت تلقائي كده...

وبدأنا الرقص الثنائي... طبعاً رقصت مع (حنان) اللي كانت متابعة جداً (ليلو) وهي بترقص وحدها... لقيت نفسي و أنا برقص مع (حنان) سرحان في عيون البنت دي.

صحيت من سرحاني على صوت (حنان) وهي بتتكلم بعصبية:

- أنا ما شوفتش بجاحة بالمنظر ده... و اقفة ترقص لوحدها ولابسة عريان خالص وكمان ما سابتش حد إلا وبصت عليه... يعني هي عاوزة تخطف كل الرجالة؟!

رديت عليها و أنا مخنوق وقلت لها:

- ملناش دعوة بيها يا (حنان)... خليكي في حالك...مش جوزك في حضنك... اهدي بقى.

رديت (حنان) بسخرية:

- أهدى؟! هو إحنا حنشوف هدوء بعد النهارده؟!

فعلاً (حنان) ما غلطتش.. من يومها ما شفت هدوء ولا سكينة إلا داخل عيون البنت الرقيقة.

على الرغم من تطور العلاقة بيني وبين (ليلو)... إلا إني لما كنت بشوف البنت و أبص في عيونها كنت بحس بالسكينة... كنت بهرب من جنون (حنان) وإغراء (ليلو) جوه عيون البنت.

ساعات كتير كنت بفرح و أنا شايف (حنان) غيرانة عليّ... و(ليلو) بتعمل المستحيل علشان تغريني و اتجوزها... والبنت عيونها فضحاها... كنت بتخيل نفسي لو رجعنا للماضي البعيد إني هارون الرشيد وحواليّه الحريم بتوعي... بس فجأة كنت بسأل نفسي:

- طيب لو الزمن رجع... أنا ايش ضمني إنى حبقى (هارون الرشيد) مش يمكن كنت حكون العبد اللي بيهوي له بالمروحة!

هو ليه الرجالة فرحانين قوي كده بنفسهم وفاكرين نفسهم حاجة عظيمة... فاكرين الستات كلهم حيترموا تحت رجليهم وحيموتوا عليهم؟!

عدت الحفلة مش على خير... والبنت ما اتحركتش من مكانها وما نزلتش عنيها من عليّ إلا في الوقت اللي (كيمو) قعد جنبها يتكلم معاها... هو ليه أنا اتضايقت لما (كيمو) كان بيكلمها؟! هو ليه أنا بتضايق كل يوم في السيارة لما

بيقعد جانبها؟! معنديش إجابة وما حاولتش وقتها أسأل نفسي... كنت مشغول مع (ليلو) وبعدها مع الأولاد ومشاكل (حنان).

في يوم من الأيام... كانت البنت نازلة من سلم الشركة و أنا كنت طالع السلم... كالعادة كانت سرحانة... فجأة وقعت من على السلم وأغمى عليها... جرينا كلنا عليها وكنت أنا أول واحد بحكم إني كنت جنبها... استدعينا طبيب الشركة وتم نقلها إلى العيادة... طمنا الطبيب وأكد إن بها شرخ في القدم بسيط بس واضح إنها كان عندها نزلة برد شديدة و أنيميا حادة أدت إلى الغيبوبة...

حاولنا نبحث في موبايلها على أي رقم لوالديها مش لقينا. طلبت من (إسراء) توصيلها إلى البيت رفضت لإن أولادها في البيت لوحدهم وطلبت من (ليلو) طبعاً رفضت والغيرة في عنيها... اضطريت إنى أوصلها بنفسى وهي في شبة غيبوبة.

وصلنا البيت بعد ما شاورت عليه وضربت الجرس... فوجئت بيها بتطلع المفاتيح بصعوبة من شنطتها.. وأخدت منها المفاتيح و أنا مسندها وفتحت.. استغربت جداً... بيت بسيط جداً بس مرتب و أثاثه قديم بس نظيف... البيت خالي من الناس... سألتها:

- هو مفيش حد في البيت؟

اتصدمت بجد لما قالت بحرج شديد إنها عايشة لوحدها... وإن أهلها اتوفوا... افتكرت (حنان) هي وحيدة ملهاش غيري... البنت دي برضه وحيدة ودلوقت ملهاش غيري...

نامت البنت في سريرها في غيبوبة من السخونية وخلعت الجاكيت بتاعي ودخلت المطبخ... الظاهر أنه عليّ إني أدخل مطبخ كل واحدة اتعلق بيها...

كنت اكتسبت خبرة كويسة في المطبخ من (ليلو) و(حنان)... سلقت لها فراخ وعملت لها رز وصحيتها.... وأكلتها بإيدي.... واستغربت إنها و افقت تاكل من إيدي... لإنها خجولة جدا... بس واضح إن السخونية مش مخلياها تركز... وتحركت في الشقة براحتي وعملت لها كمادات وهي بتنام وبتصحى وتتكلم وتبتسم لي...

غريبة جداً إنها بعد كل اللي حصل والكلام اللي اتكلمته و الأكل اللي أكلته من إيدي.. تقولي: "إنت خيال".

غريبة قوي البنت دي... بس مش عارف ليه قلبي كل يوم بيميل لها أكتر... مش عارف ليه مش بتسيب خيالي... مش عارف ليه كل يوم لازم أغرق جوه عنيها.

مش عارف ليه قصدت أسيب الجاكيت بتاعي في بيتها؟! أنا مش عارف نفسي.

أيام (ليلو) أنا كنت عارف أنا عاوز إيه؟! كنت عاوز أستمتع بيها.. بس دلوقت مش عارف أنا عاوز إيه من البنت دي... هل أنا فرحان بحبها ليّ؟! ولا أنا حبيتها؟!

تاني يوم... لما رحت الشغل أول حاجة عملتها... إني بحثت عن ملف البنت دي... كنت مشتاق إني أعرف اسمها وأعرف عنها كل شيء... عرفت اسمها (وفاء)... اسمها جميل قوي... هي (وفاء) وكلها وفاء.

كنت حريص جداً إني ما اعرفش (وفاء) إني عرفت اسمها أو بحثت عنه... أنا مش عاوزها تتعلق بيّ أكتر... أو تحس إني مهتم بيها.

لما رجعت (وفاء) من الإجازة المرضي كانت في منتهى السعادة خصوصاً وهي بترجع ليّ الجاكيت بتاعي و أنا كنت حريص إني أكون جد جداً معاها لما

شوفتها.. عنيها كانت مختلفة جداً عن الأول... الأول كنت بغوص في عنيها بحس بالهدوء والسكينة دلوقت يغوص بحس إني رجعت صغير تاني ومش شايل الدنيا هم... لإن نظرة عنيها اتغيرت... بقيت عنيها بتضحك لوحدها كل ما تشوفني... هي بتحاول تداري بس عنيها فضحاها. الابتسامة اللي بتمنع شفايفها منها.. بتطلع من عنيها غصب عنها... كلمة (بحبك) اللي مانعه لسانها يقولها.. عنيها قالتها.

بتحبني وبتعشقني ..... و أنا؟! خايف أقولها.

****

بعد ما رجعنا أنا و(حنان) زيّ الأول.. وعدتها برحلة بحرية لدول البحر المتوسط... وكلمت مستر (عامر) و اقترحت عليه فكرة الرحلة البحرية... ليه كلمت مستر (عامر)؟! ما كنت طلعتها مع أي شركة سياحية؟! هو أنا عايز ايه؟! عايزهم كلهم حواليّه؟! فرحان بنفسي؟!

بجد مش فاهم نفسي... مش عارف أنا مين؟ بيقولوا عليّ وفيّ.. بس أنا خنت (حنان) مع (ليلو)... بيقولوا علي متواضع... بس أنا جو ايا مغرور بنفسي وحاسس اني ملك..... بيقولوا عليّ متحضر وراقي.

(ليلو) طلعت الهمجي اللي جو ايا..... بيقولوا عليّ متقدم... بس أنا بعامل الستات برجعية شديدة... أنا مش عارف أنا اللي بيقولوه عليّ.. ولا أنا... أنا؟!

طبعاً أول ما مستر (عامر) أعلن عن الرحلة البحرية... اشتركت فيها وزيّ ما توقعت (ليلو) اشتركت وكمان (وفاء)... فرحت جداً بوجودهم معايا خصوصاً (وفاء)... هي من غير راجل.. أنا راجلها. ما فكرتش في مشاعر (حنان) وأنها أكيد حتتجنن لما تشوف (ليلو) وطبعاً حتلاحظ نظرات (وفاء).

وبدأت الرحلة... ركبنا السفينة وكنت أنا و(حنان) و ابني الكبير في غرفتين مفتوحتين على بعض.

كنت أنا و ابني فرحانين جداً...أما (حنان) أول ما شافت (ليلو) اتعصبت بس ما قدرتش تكلمني لأني ملتزم أمامها...

أهم حاجة إنك تخلي مر اتك حاسه بالأمان من نحيتك... بلاش تزود العيار في إثارة غيرتها يا دوب تخليها تعرف إن فيه ستات نفسهم فيك.. بس إنت مش عاوز غيرها... كده هي حترتاح لكن إنك تغيظها وتقولها حتجوز عليكي أو أعرف واحدة يبقى إنت غبي لا مؤاخذة... حتفتح على نفسك باب جهنم... حتدور وراك وتفتش محفظتك وموبايلك ومش بعيد تأجر واحد ير اقبك.

المهم (حنان) اتنكدت لما شافت (وفاء)... و اتغمت لما شافت (ليلو)... تقريباً أنا كنت مطلعها الرحلة علشان أعذبها و انتقم منها لأنها غلبتني.

كنت حريص جداً إني أكون قريب من (وفاء)... لا والله مش علشان أغيظ (حنان)... أنا فعلاً كنت قلقان عليها مش عايزها تبقى لوحدها خصوصاً إن الشخص الغريب اللي اسمه (كيمو) كان موجود...

كنت بتهرب كتير من التواجد بالقرب من (ليلو) وساعدني في كده إن (ليلو) كانت دايماً مع مستر (عامر)... هي مع الشخص الخطأ لأن مستر (عامر) مش بتاع جواز.

دايماً كانت (وفاء) جانبنا بس سرحانة... معانا ومش معانا.. لدرجة إننا في يوم توهنا والكل خاف وقلق حتى (حنان) و ابني كانوا بيعيطوا.. بس هي كانت بتبص لي وسرحانة في دنيا تانية ولا كانت حاسة بالمشكلة... شكلها كإنها حاسة بالأمان... يا ترى هي كانت حاسة بالأمان علشان أنا معاها؟! نفسي أدخل جواها وأعرف مشاعرها و أفكارها... هي ليه ساكتة كده على طول؟! نفسي تكلمني... تحكيلي... نفسي أخدها في حضني وأخبيها... نفسي أقولها: "إنت مش لوحدك... أنا معاكي... أنا دنيتك... أنا أبوكي وأخوكي وصاحبك وحبيبك".

****

واضح إن (حنان) أخدت بالها من نظرات (وفاء) ليّ... لما وصل فريق الإنقاذ اللي زمايلنا وكلوهم بالبحث عنا.. قامت (حنان) بسرعة و اتجهت إليها ووكزتها جامد في دراعها وقالت لها بكل غل:

- ايه عاوزة تقعدي كده للصبح؟! يلا علشان نمشي!

قامت المسكينة وراء (حنان) في صمت ورجعت للباخرة...

عدت عشر أيام كنت في منتهى السعادة وحسيت كده إن (وفاء) كانت سعيدة جداً.. وأعلن مستر(عامر) المفاجأة... خطوبته مع (ليلو)... عملتها يا (ليلو)!.. ازاي؟!

حسيت بالضيق جداً و اتصدمت وكرهت (حنان)! ... مش كان زماني أنا اللي متجوز (ليلو)؟ أنا ليه سيبتها؟ هي ليه (حنان) قلبت كيان البيت؟

اللي نرفزني وضايقني أكتر... فرحة (حنان).. فرحت جداً لدرجة أنها أول واحدة تهئ (ليلو)... مش قادر أصدق (حنان) بتحضن (ليلو) وتبوسها... يعني بدل ما كنت أنا اللي احضن (ليلو) و ابوسها.. (حنان) هي اللي تبوسها.

(ليلو) مش فرحانة... أنا و اثق إنها كانت بتحبني أنا.. هي لما ما لقيتش رجا مني اضطرت تروح لمستر (عامر).

****

اليوم الأخير من الرحلة ركبنا السفينة و اتحركت بس بعد نص ساعة هبت عاصفة شديدة جداً...اضطر القبطان يوقف السفينة.. و أثناء إيقاف السفينة خبطت خبطة بسيطة في صخرة أدت إلى حدوث ثقب في إحدى غرفات تخزين الوقود.. كان الثقب مش كبير محتاج صيانة، كنا لسه قريبين من الشاطئ فطلب منا القبطان ركوب قوارب النجاة والاتجاه إلى الشاطئ زيادة في الأمان.

ركبت أنا وزوجتي و ابني قارب نجاة صغير وطبعاً بحثت عن (وفاء) ومن غير ما اسأل (حنان) قلتلها:

- حبيبتي... تعالي اركبي معانا.

كل ما أفتكر عيونها بعد ما عرضت عليها إنها تركب معانا... بعيط بجد بعيط من قلبي.

هي أساساً كانت و اقفة لوحدها قريب مننا وكالعادة كانت سرحانة وهي بتبص ليّ. لما قلت لها عنيها كانت بترقص من الفرحة ولمعت لمعة من عقاب ربنا ليّ إني عمري ما حنساها.

معقول فيه حب كده؟ هي مش عاوزه مني حاجة... لا هي زيّ (ليلو) عايزة تجوز علشان متعتها... ولا هي زي (حنان) عايزة تحافظ عليّ علشان البيت والأولاد والحياة وكلام الناس...

(وفاء) حبها مختلف.. اللي تحبك لشخصك... لمجرد إن انت.. انت.

تحب عيوبك قبل مميزاتك... تحب وجودك من غير مصلحة... تشوفك فارس على الرغم من إنك مش فارس.

****

اتضايقت (حنان) بس المرة دي مش حيهمني.. مقدرش اتخلى عن (وفاء).. أنا مسؤل عنها زيّ ما أنا مسؤول عن (حنان) و ابني...

اعترضت (حنان) وقالت:

- احنا ما لنا وما لها.. ما تركب مع حد تاني؟

بصيت لها وقلت بكل حزم:

- (حنان)... البنت حتركب معانا... اعتبريها اختك الصغيرة.

بصت لي (حنان) بكل غيظ وقالت:

- إشمعنى انت؟ انت لا مديرها ولا زميلها؟ انت حتى ما تعرفش اسمها ايه؟! ما تروح مع (كيمو) زميلها مش انت قلت أنه زميلها في المكتب؟!

أول ما سمعت اسم (كيمو) اتجنيت... قلت بعصبية شديدة:

- (حنان)... الموضوع اتقفل.

عليت صوتي ونااديت على (وفاء):

- يلا هاتي ايدك يا (حبيبتي) اساعدك تنزلي.

نزلت (وفاء) وقعدت بعيد عنا.. وقعدت أنا و(حنان) و ابني في الجهة التانية وعلشان اللي فيه طبع مش بيغيره... قلت جملة غريبة جداً مش عارف قلتها ليه... تخيلوا قلت:

- يا رب بس المركب يسعنا... ده يا دوب ياخد تلاتة.

أنا إيه؟! أكيد مش بني آدم! كنت عاوز أبين ليها إني ضحيت ونزلتها... كنت عاوز أحسسها إني شجاع وقوي وبحميها رغم الأخطار.

البنت سرحت ووشها جاب ألوان... هرب الهدوء والسكينة من عنيها... سكن في عنيها الرعب... حسيت إنها بتكلم نفسها... هي خايفة ليه؟ إحنا قريبين من الشاطئ... العاصفة شديدة بس المركب قوي... أنا مش فاهمها.

وفجأة لقيتها صرخت وهي بتبص على المياه وقالت وهي منهارة:

- ما تسيبنيش يا (شريف).

وقبل ما أستوعب إيه اللي بيحصل... رمت نفسها وهي بتنادي على اسمي (شريف).

جريت أنط وراها و أنادي عليها "وفاء"... (حنان) مسكتني و ابني باس إيدي وصرخ:

- أرجوك يا بابا ما تسيبناش لوحدنا.

نزلت (حنان) على ركبها وباست رجلي وهي بتبكي:

- أرجوك يا (شريف)... أرجوك ما تسيبناش...افتكر أولادك بلاش أنا... أنا عارفة إنك ما بقيتش بتحبني... بس أولادك بيحبوك ما تنزلش وراها.

ونزلت وراها... أيوه نزلت وسيبت (حنان) و ابني لوحدهم...

صرخت (حنان) بأعلى صوت:

- الحقونا يا ناس.. الحقونا!

أنا مش سامع إلا صوت (وفاء) وهي بتناديني... أنا مش شايف إلا عنيها.

****

المراكب اتجمعت حول مركبنا على صراخ (حنان)... حكيت لهم الحكاية بسرعة علشان ينقذوني... الكل نزل المية والكل لقاني... بس محدش لقى (وفاء).

رفعوني بالقوة... كنت رافض أسيبها لوحدها... بس هم أقوى... أول ما طلعت شفت شنطتها بكيت... بكيت وحفضل أبكي عليها وبكيت أكتر لما قريت مذكراتها.. كانت بتكتب لآخر لحظة موتها.. ما هي ماتت بسببي... خسرت حبيبتي بسبب غروري.

****

وصلنا الشاطئ وشرطة المياه كانت في انتظارنا... وصلونا المستشفى لعمل الإجراءات اللازمة لعلاجنا... وأنا في دنيا تانية.. أنا تايه.. مش فاهم.. مش عارف بجد أنا مين؟!

عدت ست شهور على غرق (وفاء)... بنام وأنا بحضن مذكراتها... علاقتي بـ(حنان) انتهت... عايشين في بيت واحد بس كل واحد له دنيته... قدمت استقالتي من الشغل وفتحت مكتب محاسبة... ما قدرتش أرجع الشغل تاني وخصوصاً بعد ما قريت مذكرات (وفاء).. كل مكان بيفكرني بيها.

مفيش حاجة شاغلة بالي إلا سؤال واحد:

(أنا مين؟!).

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017